

الباب الثاني

أصول نظرية النقد عند أطفاف حسين حالي

- الفصل الأول : أصول من التراث الشرقي القديم .
(الأردى - الفارسى - العربى)
- الفصل الثانى : أصول من التراث الغربى .
(اليونانى - الإنجليزى)
- الفصل الثالث : مقدمة شعر وشاعرى .
(دراسة وصفية تحليلية نقدية)

الفصل الأول

أصول من التراث الشرقى القديم

- ١ - أصول من التراث النقدى الأردى .
- ٢ - أصول من التراث النقدى الفارسى .
- ٣ - أصول من التراث النقدى العربى .

١ - أصول من التراث النقدي الأردني

ظهرت الآراء النقدية في الشعر الأردني أو ما ظهرت متأثرة بأراء الناقد الشخصية والذوقية في الشعر فكان الشعر الجيد - من وجهة نظره - هو الذي يضم في ثناياه ما اتفق من لمسات جمالية تتفق وذوق العامة فضلاً عن الخاصة، وكان الشعراء والنقاد مهتمين - كالنقد العربي القديم - بالبديع والمحسنات وعلوم البلاغة الأخرى وبالنقد اللغوي أكثر من أي شيء آخر، وكان النقد يعتمد على النظر في طبيعة الشعر من ناحية خلوه من الأخطاء اللغوية وفصاحة الألفاظ وبعده عن التعقيد اللفظي وسلامة الوزن والقافية، وكانت تقاس مقاييس جودة الشعر بمدى تأثيره على عدد أكبر من الجمهور، لذا كان النقد الأردني يخضع للأذواق وليس لقواعد معينة يستطيع بها الناقد أن يقيم الشعر وفقاً لها، فكانت (مقدمة شعر وشاعري) بمثابة بداية للنقد المنهجي المنظم القائم على أسس وقواعد نقدية ثابتة.

وكانت هناك لمحات نقدية في الأردنية قبل الحركة الفكرية التي أحدثتها مجلة (تهذيب الأخلاق)، ولكنها كانت نتفا مفرقة وفقرات مبعثرة، ففي الأردنية الدكنية القديمة أشار (ملا وجهي) في قصص الحب (قطب مشستري) و(سب رس) إلى خصائص الشعر الأردني ويبدو من قراءة هذه الآراء أن ملا وجهي كان لديه إحساس بالشعر الجيد، وهذا الإحساس في حد ذاته يصبح معياراً للفكر النقدي ومع أن تفكيره غير مترابط إلا أنه يلفت انتباهنا إلى التفكير في نقد الشعر.

وتوجد الميول النقدية بطريقة متفاوتة وغير منظمة عند شعراء شمال الهند، فمثلاً تلوح بعض الأفكار النقدية في صورة أشعار متفرقة عند كل من ولي وشاه حاتم ومرزا مظهر جان جانان و خان آرزو وميرتقي وسودا وغيرهم فتقل عند أحدهم وتزيد عند الآخر.

ويعتبر نقد مير محمد تقي (*) على مراثي سودا هو العمل النقدي الأول في النقد الأردني، وربما لا يمكن أن نجد نموذجاً أفضل وأكمل منه في النقد الأردني القديم لأنه بحث في بعض أصول الشعر علاوة على بحثه في اللغة، وبالإضافة إلى ذلك يوجد آراء

(*) هو شخصي آخر غير «ميرتقي مير» الشاعر المعروف.

نقدية متفرقة في مجلة «عبرة الغافلين» و«مقدمة سودا» و«مقدمة ديوان زاده لشاه حاتم» و«چمنستان شعراء» لشفيق اورنگ آبادي، لكن هذه الآراء النقدية لم تكن ترجمانا لأفكار الشاعر ولم تلق الضوء على ما هية الشعر ولم تفتح الباب للبحث في النظريات النقدية ولم توضح حقيقة الشعر، وعلى الرغم من أن شعراء الأردية كانوا يهتمون بالبساطة والصدق والحركة والإخلاص في الشعر إلا أن الجزء الأكبر من أشعارهم كان يخلو من هذه الخصائص (١).

وكانت المرحلة التالية للنقد الأردى متمثلة في تراجم شعراء الأردية التي تحتوى على كثير من الآراء المفيدة وبعض التعليقات النقدية القيمة فيما يتعلق بفن الشعر ولغته ونلمس فيها بعض الإحساس بالجانب المفيد للشعر - وخاصة عندما بدأت الصحف والمجلات في الصدور في مختلف أنحاء الهند - فمثلاً نجد في تذكرة «شميم سخن» عام ١٨٧٢م لعبد الحى صفا بدايونى بحثاً في أصول الشعر وقواعده وتأثيره والجانب الأخلاقى المفيد فيه وهكذا فقد كتب كثير من شعراء الأردية تراجم للشعراء ولكن هذه التذاكر(*) كتبت فقط للماء الفراغ في هذا الفن وكتحصيل حاصل وكان كل مؤلف يكتب هذه التذاكر طبقاً لما يميله عليه ذوقه الخاص، وعلى الرغم من ذلك فهناك فى الأردية تذاكر قيمة تحظى باحترام النقاد حتى اليوم ومنها تذكرة «نكات الشعراء» لمير وقد نالت أهمية عظيمة لأنه بين فيها أقسام الشعر فى لغة «الريخته» ولم يطعن أو يلعن فى الشعراء ولم يستغرق فقط فى التحسين والتقبيح بل أبدى آراءه الصائبة فى بعض الأماكن، ويقول كلیم الدين أن (٢): «البصيرة النقدية النافذة عند مير تتفوق كثيراً على آزاد فلم يكن مير يكتب أى رأى إلا بعد التفكير فيه، ولكنه كان يكتب رايه باختصار شديد ولذلك فأراؤه محدودة فى بعض الأماكن فمثلاً آراؤه بالنسبة لدرود وسودا لا يوجد بينهما أى فرق جوهرى ظاهر سوى أن «سودا على رأس شعراء الهند وهو شاعر مجيد»، ودرود «كالعندليب الذى يصدح فى الرياض» فلا يمكن بهذه الجمل الوصفية أن تتضح شاعرية الشاعر ولا أن نعرف ذوقه الشعرى لكن مع هذا تتجلى البصيرة النقدية النافذة فى آراء تذكرة «نكات الشعراء» بوضوح على الرغم من جميع التذاكر الأخرى ليس لها أهمية كبيرة من الناحية النقدية بداية من «مخزن النكات» و«مجموعة نغزدي تاسى»

(١) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى، ص ٣٣٧، ٣٣٨.

(*) المقصود هنا بكتب «التذاكر» كتب تراجم الشعراء التى تناول حياتهم إلى جانب الاهتمام بأشعارهم.

(٢) كلیم الدين أحمد: اردو تنقيد برايك نظر: ص ٤٢.

«طبقات الشعراء» لكریم الدین حتی گلشن بے خار لشیفته .

وكل ما كان يميز هذه التذاكر هو كتابة حياة الشعراء ومختارات من أشعارهم مع إبداء الرأي النقدي الموجز عليها وكان هذا الإطار النقدي ناقصاً تماماً فقد كتبت كتب التذاكر هذه تقليداً لأهل إيران في كتابه التراجم وليس من أجل إظهار الشعور النقدي وعلى حد قول كلیم الدین أحمد أن أعظم رأى في كتب التذاكر هو أن الشاعر «بسيار خوشگواست» أى شاعر مفلق .

ويرى كلیم الدین أحمد أن القول بوجود النقد الأردى هو مجرد افتراض، وبذلك ظلم كثيراً من كتب التذاكر الأردية القديمة التي تحتوى في معظمها على كثير من الإشارات النقدية اللطيفة والأحكام الدقيقة الصائبة، وصحيح أن الأدب الأردى قد استفاد استفادة عظيمة من ذخائر التراث العربية والفارسية، كما قلد كتاب التذاكر في الأردية طريقة النقد العربى والفارسى، ولكن لأنهم لم يتعلموا اللغة العربية جيداً وكانت معلوماتهم عن الأدب الأردى ناقصة وضعيفة، فإن ما كتب في كتب التذاكر الأردية يعتبر في حكم الرموز الغامضة بالنسبة لكثير من النقاد في العصر الحاضر^(١).

وترجع هذه الرموز والمصطلحات الموجودة في كتب التراجم القديمة إلى أسلوب تنميق العبارات، لكن بعد الإمام بعلوم البيان والمعاني والبديع سوف يتضح كم كان يتمتع كتاب هذه التذاكر بوجهة نظر عميقة وغزارة في المعلومات وبأحكام صحيحة صائبة عدا بعض المواضع، وصحيح أن كتاب تذاكر الشعراء في الأردية كانوا يفرضون على القراء أن يلموا بمبادئ علوم البيان والمعاني والبديع، ولذلك يسىء المثقف الظن بتلك التذاكر القديمة وترسخ في ذهنه هذه الفكرة وهى أن النقد مفقود تماماً فى تلك التذاكر.

وتشتمل هذه التذاكر على الأحكام العامة مثل: فلان فارس المعانى وفلان ملك الألفاظ وهذا يرجع صدفة إلى أن النشر الفارسى الذى انتشر وراج فى الهند وعرف بالأسلوب الهندى، كان مبنياً فى أغلبه على المحسنات والتكلف والمبالغة، ولذلك مالت كتب التذاكر التى كتبت بالفارسية إلى تنميق العبارات والسجع والذى اختاره الكتاب المشهورون فى العصر القاجارى وازدهر على أكمل وجه فى العصر المغولى، وقد قلد

(١) سيد عابد على عابد : اصول انتقاد ادبيات، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

كتاب التذاكر الأردية الأسلوب الفارسي، ولذلك كان الإطلاع على الكتب الفارسية والعربية التي يوجد بها قواعد النقد وأصوله بالتفصيل فرضاً على كتاب التذاكر الأردية القديمة بخصوص نقد الأدب بصفة عامة وموضوع نقد الإبداع الشعري بصفة خاصة وكان هذا يستلزم من القراء العلم بجميع المصطلحات المتعلقة بعلوم البديع والبيان والمعاني، كما يجب والتي بالتغاضي عنها يعتبر قراءة التذاكر عمل غير مفيد.

ولقد حدد كتاب التذاكر مكانة كل شاعر وأهميته وأقروا مقاييس محددة لشعر فحول الشعراء، وكان أكثرهم يكتبون أن الشاعر فلان يوجد فيه طبع شعر سوداً أو طريقة شعر مير ومن المفترض أن لدى القارئ علماً بنوعية فن مير وسوداً وعندما نعلم أن الشاعر فلاناً منسوب إلى مدرسة مير فسوف يتسنى لنا حين ذلك نقد شعره والبحث في خصائص هذه المدرسة الشعرية التي ينسب إليها هذا الشاعر أو الذي تأثر بها، وقد قام كتاب التذاكر بعمل مفيد عندما اختاروا الأشعار التي يبدو منها بعد إمعان النظر فيها أنها في الأصل جزء من النقد فإذا انتخب كتاب التذاكر أشعاراً جيدة فإن أذواق القراء ستصبح سليمة بقراءتها، ويبدو أنه مادام الذوق السليم مفقوداً فإن الجهود النقدية لا تستمر بل تكون ضارة للقراء.

وبقراءتنا لكتب التذاكر الأردية القديمة مثل (١):

- ١ - چمنستان شعرا: تأليف لكشمي نرائن اورنگ آبادي (بالفارسية).
- ٢ - گل عجائب (يعني تذكرة شاعران): تأليف أسد علي خان تمنا اورنگ آبادي عام ١٩٩٢ هـ (بالفارسية).
- ٣ - گلشن هند: تأليف مرزا علي لطف سنة ١٨٠١ م (بالأردية).
- ٤ - مجموعة نغز: تأليف مير قدرت الله قاسم وانتهى من تأليفها عام ١٢٢١ هـ (بالفارسية).
- ٥ - گلستان بے خزان: والمعروفة باسم «نغمه عندليب» تأليف سيد قطب الدين باطن عام ١٢٦١ هـ.
- ٦ - تذكرة «نصر الدين آزرده» المتوفى عام ١٢٨٥ هـ.

(١) سيد عابد علي عابد: اصول انتقاد ادبيات، ص ٢٤٠، ٢٤١.

نرى أن هذه التذاكر القديمة تتميز بسمات مشتركة في أحكامها النقدية وطريقة اختيارها للمختارات الشعرية بل ونفس العبارات والألفاظ النقدية:

- ١ - يوجد في كتب التذاكر القديمة نقد وإشارات نقدية .
- ٢ - ربما لن يحصل القارئ على فوائد عظيمة من قراءة التذاكر بدون أن يلم بعلم القافية والعروض والبديع والبيان سواء كان ذلك في النقد أو في الأحكام النقدية .
- ٣ - أن الكلمات التي يعتقد أنها مجرد بارات منمقة هي في أكثرها عبارات من الرموز والمصطلحات .
- ٤ - لقد تحددت منزلة الإبداع الفني لشعراء الأردية حينما راعى كتاب التذاكر مدرسة الشعر الفارسي .
- ٥ - أقرب التذاكر مقاييس للنقد ومعايير لشعر فحول الشعراء في الأردية وهذا الأمر معروف ومسلم به وله أهمية أساسية في النقد الأردى .

وبذلك يكون لنقد هذه التذاكر أهمية كبرى في تطور النقد الأردى، فقد ركزت كتب التذاكر الأردية على أمور مشتركة هي: انتخاب أبيات شعرية من أفضل أشعار الشاعر طبقاً للذوق الشخصى لمؤلف التذكرة، وتحديد مرتبة الإبداع الشعرى ومنزلته وتبسيط الصعاب من أجل شرح الشعر والبحث عن مدارس الشعراء التى ينتمون إليها بعد توافر عدد من الشروط المعينة على شعرهم يجعلهم ينتسبون إلى هذه المدرسة أو تلك . ولا شك أن إطلاعنا على وقائع حياة الشعراء يساعدنا فى فهم إبداعاتهم الشعرية بالإضافة إلى هذه الوقائع تكون فى بعض الأوقات بمثابة تمهيد الطريق أمام النقد الصحيح، غير أن كتاب التذاكر يتفاوتون فى اهتمامهم بحياة الشعراء لأن فى اعتقادهم أن النقد اصحيح كان ممكناً بدون تناول حياة الشعراء وهذا محل خلاف بين وجهتى النظر القديمة والحديثة لأن كتاب التذاكر لم يعتبروا ذلك ضمن تخصصهم بحيث يكتبون هذه الوقائع بالتفصيل لأن كتابه التذاكر ليست كتباً للسيرة الذاتية أو التراجم وعندما نراعى هذا الأمر فإن كثيراً من الاعتراضات والنقد على طريقة تأليف التذاكر سوف يزول تلقائياً .

والوجه الثالث للنقد الأردى يوجد فى كتب التذاكر التاريخية التى تطورت عن كتب التذاكر فقد كانت كتابة التاريخ الأدبى آخر مرحلة من كتابة التذاكر وقد نشر

محمد حسين آزاد كتابه (آب حيات) عام ١٨٨٠ م وهذا الكتاب يعد آخر صورة من صور التذاكر وعلى الرغم من أن كتاب «آب حيات» نال أهمية نقدية خاصة في القرن العشرين إلا أننا يجب ألا ننخدع به لأنه لم يكن كتاباً نقدياً بالمعنى الحديث بل يمكن تصنيفه في عداد كتب تواريخ الأدب، وقد كان آزاد يتميز بالإحساس الذاتى اللطيف والجداد بحيث أن بعض آرائه النقدية قد حازت أهمية خاصة فهو يذكر القصص والحكايات على غرار كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني بعد أن ينقد كل حكاية أو قصة بأسلوب بديع رائع. ولم يكن آزاد أول من حدد طبقات الشعراء بل أن ميرتقى مير وقائم ومير حسن قد قاموا قبله بتحديد هذه الطبقات، لكننا نسلم بأن آزاد كان أول شخص أجرى دماء الحياة فى عروق كتب التذاكر التى كانت بلا روح وحتى الآن فقد كتب شعراء الأردية العديد من كتب التذاكر الأردية والفارسية إلا أنها تفتقد إلى وجهه نظر الشعور بالفن والذى كان مع بداية تأليف هذه التذاكر وقد بدأت الفترة التاريخية فى النقد الأردى بمحاولات آزاد وبجهوده ولذلك يشعر القارئ بالناحية التاريخية بعد قراءته لوقائع حياة الشعراء ومختارات من شعرهم مع تناوله لشخصية الشاعر وبيئته وأهم الأحداث فى عصره^(١).

ويعتبر كتاب (آب حيات) إضافة جديدة فى كتابة التراجم وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة لأسلوبه الشيق الممتع ولسحر ألفاظه، وقد سحر الناس بسبب طابعه القصصى. وبدأ أكثر المثقين يعتبرون بعض الأحكام المتعصبة فى (آب حيات) صحيحة أيضاً وكان ما كتبه آزاد فيما يتعلق بغالب وذوق قد وصل صداه إلى الكليات والمجلس الأدبية، واستمر هذا الاعتقاد بتفوق ذوق أستاذ آزاد على غالب وقد كان كتاب (آب حيات) بمثابة حل لطلاسم الأدب الأردى بعد أن فتح أبواب الأسرار والرموز التى فيها.

ثم جاءت تذكرة (گل دعنا) التى كان الهدف الأسمى من تأليفها كشف الأخطاء والعيوب التاريخية فى تذكرة (آب حيات). أما (خمخانه جاويد) فقد الفت لشرح الأسلوب القديم ويقل فيها النقد وقد قام مؤلفها بالتعريف بكثير من الشعراء المغمورين^(٢).

على أن بداية النقد بالمعنى الحقيقى فى الأردية بدأ مع حالى وقد اعترف النقاد أن النقد الأردى بدأ وانتهى «بمقدمه شعر وشاعرى» فقد بدأ حالى بنقد الشعر الأردى

(١) عبد القيم: حالى كى ارد ونشر نگارى ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) سيد عابد على عابد: اصول انتقاد ادبيات. ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

القديم وكان يقصد بذلك تحطيم دائرته المحدودة وبذلك ظهر الشعور النقدي الواعى لدى حالى وهو أفضل مميزاته، وقد تعرض حالى للأسس النقدية الأولية وسلم بأن هناك خطأ فى فهم ماهية الشعر وأن ثمة علاقة بين الشعر والأخلاق وقام ببحث فى فنون الشعر الأردى كما أن النموذج الذى قدمه للعملية الإبداعية ليس له نظير فى الأردية وأن عمق التفكير والشعور النقدي يتجلى فى كل موضع من «مقدمة شعر وشاعرى».

النقد الأردى قبل حالى :

كانت الأفكار النقدية الجديدة قد ظهرت قبل حالى فى «مقالات غارسان دى تاسى» و«مجلة تهذيب الأخلاق» التى أصدرها السير سيد بعد عودته من لندن وكذلك الصحف والمجلات الأخرى، كما أن حالى نفسه كان قد أظهر استياءه وتبرمه من طريقه الشعر القديم فى مسدسه ولكنها كانت أفكارا نقدية وتعليقات مبعثرة تحتاج إلى بناء كامل متماسك وقد استفاد حالى من هذه الآراء النقدية ورتب منها قواعد منظمة للنقد الأردى، وبذلك مهد حالى الطريق للتوفيق بين الميول والنزعات الجديدة فى الشعر الأردى وأسس قواعد هذا الفن بعد أن مزج بين الأفكار والنظريات الجديدة وحاول إيجاد نوع من التوافق بينهما^(١).

وقد كانت بداية الشعر الجديد قد ظهرت على يد محمد حسين آزاد الذى كان من أوائل المتأثرين بالثقافة الإنجليزية، ولذا أقام ندوات شعرية جديدة فى جمعية البنجاب «انجمن بنجاب» وكان الشعراء ينظمون الشعر فيها فى الموضوعات بدلاً من اختيار مصرع من بيت شعر ينظم الشعراء حوله قصائدهم كما كان يحدث فى الندوات الشعرية القديمة، وكان من مآثر هذه الندوات مجموعة من المثنويات الرائعة من حيث البيان واللغة والتراكيب والصفاء والبساطة والسلاسة مثل مثنوى «آفتاب» و«خواب امن» لمحمد حسين آزاد ومثنوى: «نشاط اميد» و«حب وطن» و«تعصب وانصاف» و«بركهارت» فكانت هذه الندوات الشعرية الجديدة بداية لظهور حركة إصلاح واسعة فى الشعر الأردى بتأثير من الشعر الإنجليزي والثقافة الغربية وقد اعترف حالى بنفسه بريادة آزاد للشعر الجديد إلا أن طبيعة آزاد لم تكن ملائمة لإصلاح الشعر ولم يستطع أن يكمل محاولاته لإصلاح الشعر الأردى إلى النهاية فنال حالى شرف الزعامة والريادة للشعر الجديد ومن ثم تصنيفه للكتاب النقدي الأول فى الشعر الأردى والذى كان المرجع الأول فى النقد الأردى لمن جاء بعده.

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثرنگارى ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

مقدمة شعر وشاعري

تعتبر «مقدمة شعر وشاعري» لـ أ. طاف حسين حالي أول كتاب منهجي في النقد الأردني، وقد بحث فيه – لأول مرة في الأدب الأردني – عن ماهية الشعر وطرح العديد من التساؤلات الحيوية الملحة ووضع لها الإجابات المناسبة وبين فيه أهداف الشعر ومدى تأثيره على الجمهور وذكر النظريات والأفكار النقدية بوضوح تام وأرسى بذلك قواعد ثابتة للنقد في الشعر الأردني.

وكانت فكرة إصلاح الشعر الأردني تدور في ذهن حالي وخاصة في ظل الإصلاحات التي كان يموج بها المجتمع الهندي في عصره ولذلك كان يبدي هذه الرغبات في إظهار أفكاره من وقت لآخر في مؤلفاته التي تتعلق بالشعر مثل «مسدس حالي» و«حيات سعدى» و«يادگار غالب» وقد قام في خاتمة كتابه «حيات سعدى» ببحث مفصل عن كيفية إصلاح الشعر ثم اتخذت آراء حالي المتفرقة هنا وهناك طريقة منظمة ومرتبطة عندما طبعت في صورة «مقدمة شعر وشاعري».

وقد اعترف حالي بتبرمه بطريقة الشعر القديم واتجاهه ناحية الأفكار الغربية التي كانت حركة علي گرط ه تدعو إلى التمسك بأهدابها فألف محمد حسين آزاد كتابه «آب حیات» وكتب نذير أحمد العديد من قصصه المعروفة «توبة نصوح» و«مرآة عروس» و«بنات نعش» وكان من نتيجة هذه الحركة الفكرية التي تدعو إلى إصلاح الأدب بعامة والشعر بخاصة أن عقد حالي العزم على ترتيب «مقدمة شعر وشاعري» للبحث في ماهية الشعر وتأثيره على المجتمع والأخلاق القومية وحاول فيها إصلاح فنون الشعر الأردني: الغزل والقصيدة والمرثية والمثنوى وكان هدف حالي من تأليف المقدمة – كما كشف عن ذلك في أحد خطاباته فيقول: (أريد أن أكتب موضوعاً طويلاً ومفصلاً في شعر المسلمين وأبين فيه حقيقته الشعر من العصر الجاهلي حتى اليوم وأبحث في شعر اللغات الثلاثة: العربية والفارسية والأردنية والهدف من ذلك هو إصلاح الشعر الأردني الذي وصل إلى مرحلة متردية من الركاسة والضعف ولبيان أن الشعر المبني على أصول ثابتة قوية يمكن أن يفيد المجتمع) (١).

(١) خطاب باسم خواجه تصديق حسين بتاريخ ٣ فبراير ١٨٩٤ (مكتوبات حالي) جلد دوم.

ونعرف من «مكتوبات حالي» أنه ظل مشغولاً في ترتيب المقدمة من حين لآخر فكان يريد رؤية مجلة «نحله» التي كانت تصدر باللغة العربية في لندن وأنه قد بحث طويلاً عن كتاب «المزهر» لجلال الدين السيوطي وسافر إلى على كُرط هـ و«ناهن» لهذا الغرض. وقد استعان حالي على تحقيق هذا الهدف بالمراجع العربية في الشعر والنقد مثل «المزهر» للسيوطي ومقدمة ابن خلدون والعمدة لابن رشيقي والموشح للمرزباني والعقد الفريد لابن عبد ربه والحماسة لأبي تمام ورجع إلى هذه الكتب واستشهد بها في كثير من قضايا الشعر والنقد.

كما استعان أيضاً بالنظريات والأفكار الإنجليزية ويوجد تأثير واضح في المقدمة بأفكار: ميلتون ومل وشيكسبير وميكالي وغيرهم على الرغم من أن حالي لم يقرأ أى كتاب مستقل أو باللغة الإنجليزية مباشرة فيما يتعلق بنظريات الأدب الغربى فقد كانت استفادته من النقد الإنجليزي قاصرة على الكتب الإنجليزية والمترجمة والمقالات التي تناولت هذه النظريات في مجلة «بنجابى اخبار» وعلى كُرط هـ اخبار «ومجله معهد على كُرط هـ «وتهذيب الأخلاق» وكان قد انقضى من عمر حالي آنذاك ستة وستون عاماً ونضجت أفكاره، لذلك بدأ في كتابه «مقدمة شعر وشاعرى» فى مايو أو يونية عام ١٨٩٢ م وانتهى من كتابتها فى سبتمبر ١٨٩٣ م فى على كُرط هـ (١) وتقع هذه المقدمة فى مائتى صفحة وطبعت فى مطبعة نامى بريس بدلهلى عام ١٨٩٣ م وطبع معها ديوان حالي ووضع لهما عنوان مشترك هو «مقدمة مع ديوان حالي» ثم نشرت المقدمة منفصلة عن الديوان فيما بعد باسم «مقدمة شعر وشاعرى» وكان الذى كتبه حالي فى المقدمة بالمقارنة بظروف البيئة وأوضاعها يعد طفرة جديدة فى تذوق النقد فى عصره وأعظم من أى كتاب آخر فى النقد الأردى.

وقد ارتفعت صيحات الاستحسان وغوغاء المعارضة من كل صوب وحذب واحتدم النقاش والمعارضة فى مدرسة لكتناؤ لأن هذه المقدمة جاءت بطريقة جديدة فى فن النقد وأصبحت كل أشعار الشعراء عديمة النفع فى هذا الوقت بسبب هذه الآراء النقدية فقد كان النقد قبل حالي يهتم بالعروض والقافية والرديف، والألفاظ والتراكيب والصنعة اللفظية واستعمال التعبيرات الأدبية الشائعة لإثبات تفوق الشاعر وأساتذة الشعر

(١) غلام مصطفى خان: حالي كاذهنى ارتقا: ص ١٤٤ - ١٤٥.

ويهتمون أيضاً بالتذكير والتأنيث الذي كان يعتبر من معضلات نقد الشعر في ذلك الوقت .

وقام حالي بعد أن ترك هذه الطريقة التقليدية القديمة في النقد ببحث في قواعد الشعر الأساسية وتساءل عن الهدف الأصلي من الشعر وأين يقع منه فن الشعر الأردى؟^(١) .

وكتب عابد حسين يقول: «إن هذه المقدمة مرآة لجده الخيال وسعة الأفق وحسن الذوق لأن أى شخص ينتقد الشعر وهو ليس بشاعر يقع في أخطاء كثيرة نتيجة الظن والحدس والتخمين والقياس ولأن حالي شاعر فقد تناول مسائل الشعر الجوهريّة جنباً إلى جنب مع دقائق هذا الفن وتعرض لروح الشعر». وقد اعترض حالي على مدرسة لكتناؤ الشعرية لجعلها الشعر والغزل بصفة خاصة محصورين في رقة الخيال والمحسنات اللفظية . والحقيقة أن الذين اعترضوا على حالي لم يثبتوا بُعد النظر وسعة الأفق في كتبهم التي قدموها على الرغم من وسائل المعلومات المختلفة والمتاحة في عصرهم وعلى كثرة ما استفادته بالنقد الغربي عن طريق الكتب المترجمة للأردية .

وقام حالي ببحث في الغاية المثالية للشعر وقام ببيان ماهية الشعر مع أمثله واضحة ومفصلة لآراء النقاد والشعراء الشرقيين والغربيين واحتوت على كم هائل من المعلومات ولهذا السبب تعد أول كتاب في فن النقد الأردى ومن أعظم مزايا هذه المقدمة أن مؤلفها كان لا يعرف اللغة الإنجليزية وقام بفتح الباب على مصراعية للأفكار النقدية الحديثة ونظرية الخيال إلى جانب مطالعته لطريقة الشعراء القدامى، لكن للأسف فقد طبعت مقدمات كثيرة بلا فائدة في دواوين عديدة في عصرنا الحالي تقليداً لهذه المقدمة وكان مرجعها في الحقيقة «مقدمة شعر وشاعرى ولم تأت بجديد في النقد الأردى»^(٢) .

(١) صالحه عابد حسين: يادگار حالى: ص ٣٠٠ - ٣٠٢ .

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٣٦٥ - ٤٥٥ .

الأصول الأردنية في مقدمة شعر وشاعري

رجع حالي في مقدمة شعر وشاعري إلى كثير من كتب التذاكر والتراجم الأردنية ودواوين شعراء الأردن وإلى ذخائر التراث الشعري الأردني إلى جانب المقالات المختلفة التي كانت تنشر من حين لآخر في مجلة «تهذيب الأخلاق» و«معهد على كرت ه» فيما يتعلق بنقد الشعر الأردني، وقد استفاد حالي من هذه الأصول الأردنية في تأليف المقدمة ولكنه لم يصحح إلا بثلاثة مراجع فقط وهي على التوالي:

١ - تذكرة «نصير الدين آزرد» ت ١٢٨٥ م:

وهي في تراجم شعراء الأردن وكتبت باللغة الفارسية ونقل حالي من «تذكرة آزرد» خبراً يتعلق بأستاذية ميرتقي في الشعر وبراعته في أداء الأساليب المبتدلة بأسلوب رائع بديع لا يضارعه فيه أي شاعر آخر. فيقول: «كتب آزرد الدهلوي في تذكرته عن مير الذي يعتبره الناس أستاذاً عظيماً في الشعر الأردني بأن «أشعاره السامية غاية في السمو وأشعاره المبتدلة غاية في الابتدال». لأنه قد جاء بأشعار بنفس الأسلوب والأفكار العادية التي استمر في استعمالها الشعراء منذ قرون عديدة ومع هذا فقد استعملت أكثر هذه الأفكار التي بلغت أعلى درجات البساطة والصفات - بأسلوب بديع فريد لا نجد له مثيلاً. وتوضيحا لهذا الأمر تقدم لكم هذه الواقعة فقد اجتمع ذات يوم في مجلس آزرد عدة أصدقاء وكان من بينهم مؤمن وشيفته فأنشده هذا البيت من قصيدة مير الغزلية التي استعمل فيها:

(خاك مين - چاك مين - هلاك مين) كقافية ورديف:

* ابكے جنون مين فاصله شايدنه كچه رهے .. دامن كے چاك اور گريبان كے چاك
میں^(١).

ولاقى هذا البيت مدحاً كثيراً وأراد الجميع أن ينظم كل شخص في هذه القافية والرديف طبقاً لفكرة واسلوبه وأخذ الجميع القلم والمحبره والورق وجلسوا على انفراد وبدأوا يفكرون وفي ذلك الوقت قدم صديق آخر وسأل آزرد: فيما تفكر؟ فقال مولانا

(١) الترجمة: ربما لم يبق في الجنون هذه المرة، أي فرق بين الحبيب المشقوق والذليل الممزق.

آزرده: أريد أن اكتب جواب «قل هو الله»^(١).

أى أن إعجاز بيت مير وبلاغته وصلت إلى أعلى درجة بحيث لا يمكن لاي شاعر أن يأتي بمثله مثلما لا يستطيع أن يجيب أحد على كلمة «قل هو الله».

ويعلق حالي على هذه القصة بقوله: «الحقيقة أن تمزيق الذيل أو الجيب أو كليهما في ثورة الجنون هو معنى مبتذل وموضوع ردى للغاية وقد استعمله الناس باستمرار من قديم الزمن ولكن مير استطاع أن يؤدي هذا المعنى المبتذل في أسلوب جذاب، بديع وطريف برغم بساطته الشديدة ولا يمكن تصوره في أسلوب أفضل من هذا وأن أجمل ما في هذا الأسلوب أنه فريد بالرغم من بساطته وطبيعته»^(٢).

٢ - «آب حيات» لمحمد حسين آزاد (ت ١٩١٣م):

وهو كتاب في تاريخ الأدب الأردى وطبقات شعراء الأردنية وألفه محمد حسين آزاد عام ١٨٨٠م وهو مرحلة متقدمة عن كتب التذاكر وقد نال «آب حيات» شهرة عريضة في الأدب الأردى لجمال أسلوبه وسحر ألفاظه التى سحرت الناس بأسلوبه القصى الممتع على غرار كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى.

وقد رجع إليه حالى ونقل عنه هذه الحكاية^(٣) التى دلت بها على وقوع الشاعر فريسة لعاداته التى تجبره على نظم قصائد التهئة فى الأعياد والمناسبات أو نظم الغزليات فى المجالس الشعرية وتكون له بمثابة عرقلة لسير حريته، وهذا ما حدث بالفعل للشاعر إن شاء الله خان «فعندما كان إنشاء الله خان يشعر بالحرية الكاملة فى بلاط سعادى على خان فكان يأتى بالطرائف والفكاهات والنوادر والنكات الغريبة ولكن عندما ألزمه سعادى على خان بأن يروى له كل يوم حديثين لم يروهما أحد فكان إنشاء الله خان يدور حول الأطفال كالمجانين ويسألهم أن أخبرونى بشىء جديد؟ حتى أصبح فى نهاية الأمر مجنوناً»^(٤).

٣ - كتاب حالى «حيات سعدى»:

وهذا الكتاب الفه حالى عن حياة الشيخ سعدى الشيرازى وتناول فيه حياته وشعره

(١) انظر: تذكرة آزرده: نصر الدين آزرده ص: ٤٣.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧١.

(٣) محمد حسين آزاد: آب حيات: ص ٢٤٠ - ٢٤١ وما بعدها.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٩٩.

بالتفصيل ونشره عام ١٨٨٦م وقام ببحث مفصل عن الشعر والغزل بصفة عامة وشعر سعدى وغزلياته بصفة خاصة فقد كان حالي أشد المعجبين بسعدى شاعر الفضيحة والأخلاق وينعكس هذا الإعجاب في مواضع كثيرة من «المقدمة» حيث تأثر بالجانب الأخلاقي عنده وحاول أن يؤصل النقد الأردى على أساس أخلاقي ولذا نراه يستشهد بأشعاره العديدة في مقدمة شعر وشاعرى» .

وقد أشار حالي إلى كتابه هذا في موضعين من المقدمة: الموضع الأول عندما تحدث حالي عن إصلاح الغزل الأردى وذكر بداية نشأة الغزل فقال: «إن الذين قاموا بصقل الغزل وجعله مقبولاً بين الناس عامتهم وخاصتهم هم أهل الله والصوفية أو الذين يعدون من العارفين بغناء ألحان العشق الإلهى مثل: سعدى والرومى وخسرو وحافظ..... وغيرهم فلم نجد اهتمام الناس بالغزل كثيراً قبل هؤلاء العظماء، وقد وضحت ذلك فى مكان ما^(١) فى كتاب «حيات سعدى» وهو أنه - أى سعدى - لم يكن موضوع غزله هو العشق المجازى كما يفهم من ظاهر الألفاظ بل كان يوضح الحقيقة فى حجاب المجاز^(٢) .

والموضوع الثانى الذى أشاد فيه حالي إلى كتابه «حيات سعدى» كان فى معرض حديثه عن إصلاح الغزل أيضاً فذكر أن «موضوعات الحب التى تستعمل فى الغزل يجب أن تكون فى صورة الكلمات الجامعة التى تحتوى على جميع أنواع المحبة والصدقة وجميع الروابط الروحية والجسدية وألا يتخللها بقدر الإمكان أى كلمة يقصد بها المرأة أو الرجل صراحة وقد ذكرنا هذا بالتفصيل فى خاتمة كتاب «حيات سعدى»^(٣) .

وإلى جانب هذا فقد غمب حالي من فيض التراث النقدى العربى والفارسى وكاننا يعتبران فى ذلك الوقت جزءاً لا يتجزأ من التراث النقدى الأردى .

(١) انظر: خاتمة كتاب «حيات سعدى» .

(٢) حالي: مقدمه شعر وشاعرى: ص ١٠٢ .

(٣) حالي: مقدمه شعر وشاعرى: ص ١٠٥ .

٢ - أصول من التراث النقدي الفارسي

كانت اللغة الفارسية هي اللغة الرسمية للامبراطورية المغولية في شبه القارة الهندية ولغة البلاط التي يكتب بها الرسائل والدواوين وينظم الشعراء بها شعر المدح للأمراء المغول وقد اشتهرت اللغة الفارسية كلغة ثقافية بين طبقات المثقفين وكان لا غني للفرد عن تعلمها إذا أراد الالتحاق بوظائف الدولة، وكان حالي كغالب أهل عصره يتقن اللغة الفارسية ويجيد النظم بها وقد كانت هذه اللغة مسيطرة في ذلك الوقت علي المحافظ الثقافية كلغة أدب ولذلك كان من الضروري أن يرجع إلي كتب النقد واللغة والأدب الفارسي ويستشهد بفحول شعرائها في القضايا المختلفة التي طرحها في كتابه «مقدمة شعر وشاعري» لذلك نراه يقتبس الكثير من فيض هذه اللغة التي يتردد أشعارها علي كل لسان وخاصة المثقفين، وقد ازدهرت الفارسية في الهند حتي أصبح لها أسلوب خاص يسمى بـ «سبك هندي» أي الأسلوب الهندي كما لجأ إليها كثير من شعراء إيران مثل عرفي ونظيري وغيرهم .

ولذلك كان من الطبيعي أن يرجع حالي إلي التراث النقدي الفارسي الضخم ويستفيد منه كثيرا وخاصة أن التراث النقدي الأردني كان قليلا ولا يقارن بالتراث الفارسي فضلا عن أنه لم يكتب فيه أي كتاب منهجي في النقد فرجع حالي - علي الأرجح - إلي الكتب النقدية الفارسية التي تبحث في الأصول والقواعد المختصرة لفن الشعر مثل :

جهار مقاله ومعيار الأشعار وحدائق البلاغة وعروض سيفي ورسالة جامي وغيرها إلا أنه لم يصرح في المقدمة إلا باسم كتابين فارسيين فقط وهما :

١ - (تذكرة) ميرزا محمد طاهر نصر آبادي (ت : ١١٨٥هـ) :

وهو كتاب في تراجم شعراء العصر الصفوي وقد أشار حالي إليه إشارة واحدة عندما استشهد به علي أحوال الشعر في القرن الرابع الهجري ونظرة الناس المختلفة له من ذام ومادح من خلال ندوة شعرية تجمع الصاحب بن عباد والطاقاني، وقد نقل حالي عنه هذه الحكاية : «في مساء ذات يوم كان الصاحب بن عباد والشعراء والعلماء قد اجتمعوا

كالعادة في مجلس الطالقاني ودار الحديث بينهم عن الشعر كثيرا ما يشتمل علي المدح أو الذم وكلاهما قائم علي الكذب فقال لهم أبو محمد الخازن - الذي كان عالما عظيما - في تأييد الشعر: إن من أهم مميزات الشعر هو أنه مع أننا نستفيد من كل علم وفن وليس نجاحنا بسبب أي منها، فالشعر هو ذلك الشيء الوحيد الذي نستطيع أن نتقرب به إلي السلطان والوزراء، أما كثرة الكذب والمبالغة في الشعر فلا شك فيها، لكن عندما يطلي النحاس (الكذب) بطلاء الشعر فيصير لونه مثل الذهب الخالص فيتغلب جمال الشعر علي قبحه، فاستحسن الجميع هذا الرأي وهكذا انتهى النقاش بعد أن استقروا علي أن الشعر هو الوسيلة الوحيدة للتقرب من الأمراء والسلاطين ولا يغني العلم والفن عن الشعر شيئا كما أن الكذب والمبالغة فيه مقبولة.

ويخلص حالي من هذه القصة برأيه عن الشعر في القرن الرابع الهجري فيري أنه كان يعتبر أحد الأسباب القوية في التقرب من الملوك والأمراء ولذلك كان الكذب والمبالغة يدخلان في خصائصه. (١)

٢ - أساس الاقتباس: نصير الدين الطوسي (ت: ٦٧٢هـ):

وهو كتاب في المنطق يضم تسعة أبواب آخرها في الشعر وقد رجع حالي إليه في موضعين هما:

١ - عندما تحدث حالي عن أهمية الوزن للشعر وذكر أن العرب كانوا يمتازون ويتفوقون في لغة الحديث بشكل عام والفصاحة والبلاغة بوجه خاص، ولذلك عندما سمعت قريش عبارات القرآن الكريم المعجزة لم تصدق أن القرآن لم يلتزم بالوزن والقافية. (٢) ويعقب حالي علي هذه القضية برأي لنصير الدين الطوسي في الوزن حيث يقول إن «الوزن لم يكن شرطا أساسيا للشعر العبري والسرياني والفارسي القديم وكان العرب أول من التزموا به في شعرهم» (٣) ثم يقول حالي إن الشعر يصير أكثر حدة وسحرا وأعظم تأثيرا ونفعا باستخدام الوزن.

٢ - ويستشهد حالي برأي نصير الدين الطوسي أيضا عندما يتكلم عن أهمية القافية للشعر كاهمية الوزن فيقول أن القافية ضرورية للنظم وليس للشعر وقد جاء في

(١) حالي: مقدمة شعر وشاعري، ص ١٦، ١٧.

(٢) حالي: المرجع السابق: ص ٢٧-٢٨.

(٣) نصير الدين الطوسي أساس الاقتباس دانشگاه تهران. جاب دوم، ص ٨٧.

« أساس الاقتباس » أن « القافية » عند اليونانيين مثل – الوزن أيضا غير ضرورية، وقد كتب « جشوني » أحد شعراء المجوس كتابا جمع فيه أشعارا غير مقفاه^(١) ويرى حالي أن القافية تزيد من حسن الشعر ما لم تكن الشعراء عن أداء المعنى .

وقد رجع حالي إلي كتب فارسية أخرى في اللغة والنقد والأدب واستعان بها في مواضع كثيرة في المقدمة دون الإشارة إلي هذه المراجع والمصادر أو ذكر أسماء مؤلفيها ومن هذه المصادر « چهار مقاله » الذي من المرجح أن حالي قد رجع إليه ونقل عنه روايتين أحدهما للرودي والأخرى للفرديوسي وكان مؤلف « چهار مقاله » نظامي عروضي السمرقندي أول من ذكرهاتين الروائيتين في كتابه هذا الذي ألفه عام ١١٥٥-١١٥٦م ويحتوي علي أربع مقالات في علم الفلك والطب والنشر والشعر، وقد نقل هاتين الروائيتين كل من جاء بعده ومنهم دولتشاه السمرقندي في كتابه « تذكرة الشعراء »، والروائتان هما :-

١ - الرواية الأولى التي نقلها حالي عن « چهار مقاله » ودلل بها علي تأثير الشعر هي قصة القصيدة المشهورة التي نظمها الرودي بناء علي رغبة القادة والوزراء ليبحث بها الامير الساماني نصر بن أحمد إلي العودة إلي موطنهم بخاري بعد أن ظلوا مقيمين في هراه قرابة أربع سنوات^(٢) . وقد نقل حالي القصة كما هي دون تحريف أو تعليق إلا أن هناك بعض الاختلافات في رواية الأبيات التي ذكرها حالي في المقدمة عن الأبيات التي ذكرها العروض السمرقندي وربما يرجع هذا إلي أن حالي قد نقل هذه الأبيات من « چهار مقاله » المطبوع في الهند لذا ظهرت بعض الأبيات التي ذكرها حالي برواية مختلفة ومطلع هذه الأبيات هو :

بوي جوي موليان آيدهمي ياد يار مهربان آيدهمي^(٣)

ولما بلغ الرودي البيت الأخير بلغ تأثير الأمير مداه فنزل عن التخت وأسرع غير منتعل فركب فرسه وتوجه شطر بخاري حتي حمل وراءه حذاءه فرسخين إلي بروته وهناك لبسهما ولم يعرج علي مكان حتي بخاري .

٢ - والرواية الثانية التي نقلها حالي في مقدمته عن « چهار مقاله »^(٤) هي قصة

(١) المرجع السابق نفس الصفحة

(٢) حالي : مقدمه شعر وشاعري ص، ٩، ١٠

(٣) نظامي عروض السمرقندي، چهار مقاله : ص ٢٤-٢٨ ويحي الخشاب وعبد الوهاب عزام : الترجمة

العربية لجهاز مقاله ص ٣٨-٤١

(٤) نظامي عروضي السمرقندي : چهار مقاله : ص ٣٥-٣٩ والترجمة العربية ص ٥٥-٥٩ .

الفردوسی ونظمه للشاهنامه وحملها إلي وزير السلطان محمود الغزنوي الحسن الميمندي وتوسله إليه حتي قبلها ولكنه لم يحصل علي الجائزة التي ينتظرها وذلك بفعل الوشاة الذين كانوا يترصدون الزلل للوزير الميمندي فلم يكثرث بها السلطان محمود، وعندما علم الفردوسي بمعارضة حسن الميمندي قال هذين البيتين:

انني امرؤ لم اكن منذ حدثتني ساعيا إلي مال أو طامعاً في جاه أبدا
فلما التجيء إلي أبواب الوزير مؤمل وأنا الذي انصرفت عن أعتاب الملك (١)

ويذكر حالي هذه القصة ليدلل بها علي أن الحكومة الفردية المطلقة تحذ من حرية الشاعر فبالإضافة إلي اتهام الوشاة للفردوسي بأنه دهري تارة وشيعي تارة أخرى، فلم يجن من تعب السنين في نظم الشاهنامه سوي الحرمان والفشل وذلك بسبب عدم خضوعه لتأثير البلاط وضغط المجتمع. (٢)

وقد أشار حالي إلي شاهنامه الفردوسي في موضع آخر (٣) عندما تعرض لبراعة الفردوسي في تصوير قوة بطله رستم وشجاعته بدقة حتي أن السامعين عندما يسمعون اسمه ينشأ في قلوبهم الشعور بالزهو والخيلاء تلقائياً. كما ذكر حالي قصة «رستم وسهراب» عرضاً عند الحديث عن خوارق العادات الموجودة في شعر المثنوي. (٤) وقد تحدث حالي في «مقدمة شعر وشاعري» «عن قضية الفن» للمجتمع وأن الشعر تابع للمجتمع فيتغير تبعاً لتغير أفكار المجتمع وميوله وعاداته وان هذا التغيير غير معروف تماماً بل انه يتماشى جنباً إلي جنب مع المجتمع وضرب مثلاً علي ذلك بشاعر الهزل الفارسي الشهير «عبيد زاكاني» الذي تخلي عن العلم واختيار شعر الهزل والتملق طبقاً لمقتضيات العصر وبرز في هذا الاتجاه. (٥)

ورجع حالي في مقدمته إلي كثير من دواوين شعراء الفرس واستعان بها في ذكر أبيات منها كشواهد شعرية لتوضيح فكرة أو نفي أخرى أو لاثبات رأي أو بمقارنتها بالشعر

(١) من بنده كز مبادي فطرت نبوده ام .. مائل بمال هرگز طامع به جباه نيز
سوي دروزير چرا ملتفت شوم .. چون فارغم زبارگه بادشاه نيز

(٢) حالي: مقدمة شعر وشاعري ص ٢٠

(٣) حالي: المرجع السابق: ص ١٢

(٤) حالي: مقدمة شعر وشاعري ص ١٦٩-١٧٠

(٥) حالي: مقدمه شعر وشاعري: ص ١٥.

العربي أو الأردى وكان حالى يرمى من وراء ذلك إلى إثبات تفوق أستاذه غالب خاصة فى شعره الفارسى على شعراء إيران .

وكان سعدى الشيرازى من أكثر الشعراء الأيرانيين الذى أعجب بهم حالى أيما اعجاب وكان يعتبره مثله الأعلى فى الشعر والأخلاق ولذلك كتب حالى عنه كتابا قيما بالأردية هو « حيات سعدى » استعرض فيه حياته بالتفصيل وبحث فى خصائص شعره وقد استشهد حالى بشعره فى مواضع كثيرة فى المقدمة ووصل عدد هذه الشواهد الشعرية إلى تسعة عشر بيتا كما عقد مقارنة بين ستة امثال عربية اقتبس سعدى منها فكرته فى ستة أبيات^(١) وقد استشهد حالى بثلاثة عشر بيتا من شعر حافظ الشيرازى فى مواضع متعددة من المقدمة وعشرة أبيات لنظيرى وستة للفردوس وثلاثة لجلال الدين الرومى وأربعة لعرفى الشيرازى وثلاثة أبيات لناصر خسرو ولكل من فيض وصائب التبريزى ونظامى وشفائى بيت واحد، كما ذكر حالى عددا من الأبيات الفارسية كشواهد دون ذكر شاعرها وعددها سبعة أبيات : وبذلك يبدو التأثير الفارسى فى أفكار حالى النقدية واضحا فى بلورة نظريته النقدية .

(١) حالى : المرجع السابق : ص ٢٥-١٢٦

٢ - أصول من التراث النقدي العربي

رجع حالي في مقدمة شعر وشاعري إلى مصادر عربية عديدة في نقد الشعر في الأدب واللغة والتراجم والرحلات واستعان بنصوص كثيرة منها ونقلها في مقدمته وذلك لتكوين آداته النقدية وهو يعد لكتابة أول كتاب منهجي في نقد الشعر الأردى وهذه الكتب هي: العقد الفريد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) والعمدة لابن رشيق (ت: ٤٥٨هـ) ومقدمة «ابن خلدون» (ت ٨٠٨هـ) والديوان النفيس بايوان باريس لرفاعة الطهطاوى و«المزهر فى علوم اللغة للسيوطى» (ت: ٩١١هـ) وألف ليلة وليلة و«الفهرست» لابن النديم وديوان الحماسة لأبى تمام (ت: ٢٣١هـ) والحيوان والبيان والتبيين للجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) والشعر والشعراء لابن قتيبة والموشح للمرزيانى و«نقد الشعر» لقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) والأغانى لأبى الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) وسيرة ابن هشام و«دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني. وقد تأثر حالي أيضا برأى الفلاسفة المسلمين فيما يتعلق بالخيال وقوى الإدراك الإنسانى وخاصة القوة المتخيلة والقوة المميزة، كما ذكر حالي فى المقدمة آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوالاً مأثورة وأمثلة شائعة.

ومن الملاحظ أن حالي لم يذكر المراجع العربية التى أخذ منها إلا نادراً وفى مواضع قليلة ولم يصرح فى مقدمته إلا بأسماء كتب خمسة فقط وهى:

١ - الديوان النفيس بايوان باريس: لرفاعة الطهطاوى وهو المعروف أيضاً بـ «تخليص الأبريز فى تلخيص باريز» وهو كتاب فى أدب الرحلة سجل فيه الطهطاوى خواطره عن رحلته إلى فرنسا للتعليم، وقد نقل حالي عنه أبياتاً من قصيدتين فرنسيتين قام رفاعة الطهطاوى بترجمتها إلى العربية أثناء بعثته فى فرنسا بين عامى (١٨٢٦ - ١٨٣١م) وقد استشهد حالي بهما على تأثير الشعر على الجمهور مما أدى إلى قيام أهل فرنسا بالثورة على ملكهم شارل العاشر عام ١٨٣٠م بسبب القانون الذى سنه ضد قانون الحريات بتأثير هاتين القصيدتين هما:

١ - القصيدة الباريسية: وقد قيلت فى ثورة الفرنسيين ضد ملكهم شارل العاشر وهذه القصيدة فى بحر المتدارك وتحتوى على ستة وأربعين بيتاً وقد ذكر

حالي^(١) منها هذه الأبيات فقط :

يا أهل فرنسا الغرا
يا شجعانا بشهامتكم
عشتم في الرق وورطته
والآن خذوا حريرتكم
ما أحسن يوم فخاركم
بتوافقكم في كلمتكم
كروا كرا للظفر بهم
النصر حليف شجاعتكم^(٢)

٢ - القصيدة المرسلية: وهي نشيد المارسليز "La Marseillaise" الذي ألفه الشاعر « روجيه دي لوزال » "Rougetdeloisile" وهونشيد ثوري يدعو إلى بالحرية والعدالة بالإضافة إلى كونه نشيد الثورة الفرنسية وهو في خمسين بيتاً وقد ذكر حالي^(٣) هذه الأبيات منه :

هيا بنى الأوطان هيا
فوقت فخاركم لكم تهيا
أقيموا الراية العظمى سويا
وشنوا غارة الهيجا مليا
عليكم بالسلاح أيا أهالى
ونظم صفوفكم مثل اللآلى
وخوضوا في دماء أولى الويال
فهم أعداؤكم في كل حال
وجودهم غداً فيكم جلياً
بنا خوضوا أدماء أولى الويال^(٤)

وقد نقل حالي هذا المثال كما يذكر في حاشية كتابه من « الديوان النفيس بايوان باريس » والمعروف أيضاً « بتخليص الأبريز في تلخيص باريز » غير أنني قد بحثت في هذا الكتاب فلم أجد هاتين القصيدتين وان كنت قد عثرت على قصة هذا المثال^(٥).

٢ - العمدة لابن رشيق القيروانى :

أشار حالي إلى كتاب « العمدة » في مقدمته أكثر من مرة، سواء كان يذكر له رأياً منفرداً أو في مقارنة الآراء النقدية في الشعر بينه وبين ميلتون، ولكن حالي - كما سنرى

(١) حالي: مقدمه شعر وشاعري: ص ٧

(٢) طه وادي: ديوان رفاعه الطهطاوي، ص ٢٠٦ - ٢٠٨.

(٣) حالي: مقدمه شعر وشاعري: ص ٧.

(٤) طه وادي: ديوان رفاعه الطهطاوي ص ١٩٩ - ٢٠٢.

(٥) رفاعه الطهطاوي: تخليص الأبريز في تلخيص باريز ص ١٩٨ - ٢٠٠.

– لم يطلع على كتاب «العمدة» مباشرة بل قرأ عنه في كتب أخرى وتأثر برأى ابن رشيق عن طريق غير مباشر، فقد قمت بقراءة كتاب العمدة كاملا فلم أجد فيه أيًا من الأصول التي نسبها حالي إليه في مقدمته، ولكنني عثرت على هذه الآراء في «مقدمة ابن خلدون» التي افتتن بها حالي ونقلها على أنها آراء ابن رشيق، فيقول ابن خلدون التي افتتن بها حالي ونقلها على أنها آراء ابن رشيق، فيقول ابن خلدون في مقدمته عن ابن رشيق وكتابه العمدة في فصل عقده في صناعة الشعر ووجه تعلمه وذلك في معرض حديثه عن صناعة الشعر وأوقات القريض: «... وذكر ذلك ابن رشيق في كتابه العمدة وهو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة واعطاء حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله»^(١) وعلى الرغم من أن ابن خلدون قد صدر في رأيه في صناعة الشعر عن آراء ابن رشيق في عمل الشعر وشخذ القريحة^(٢) له من حفظ أشعار كبار الشعراء حتى تتكون ملكته وتخير الأماكن التي بها ماء وأزهار واختيار الخلوة والأوقات البكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة من الطعام والشراب ونشاط الفكر، إلا أننا مع ذلك لا نستطيع نسب هذه الآراء إلى ابن رشيق لمجرد أنها جاءت بنفس المعاني عن ابن خلدون ولكن بالفاظ مختلفة ولم يذكرها ابن خلدون بالنص ولكنه قال ذكر «ذلك» ابن رشيق أي أنه ذكر هذا الموضوع أيضا، ولكن حالي فهم أن اسم الإشارة «ذلك» يعود على نسب الفقرة السابقة لابن رشيق ولذا وقع حالي في هذا الخطأ عندما نسب هذه النصوص الثلاثة لابن رشيق وفيما يلي مقارنة بين هذه النصوص الثلاثة التي ذكرها حالي في مقدمته وما ذكره ابن خلدون.

١ – النص الأول: يقول ابن خلدون في مقدمته فيما يتعلق بهذا الباب:

«وليراجع الشاعر شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ولا يضمن به على الترتك إذا لم يبلغ الإجادة، فإن الإنسان مفتون بشعره إذ هو بنات فكره واختراع قريحته.. فليهجرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة»^(٣).

وقد ترجم حالي هذا النص في مقدمة شعر وشاعري وهو رأى ابن خلدون ولكن حالي نسبه خطأ لابن رشيق فيقول:

(١) مقدمة ابن خلدون: ج٣، ص ١٣٠٧. طبعة دار نهضة مصر.

(٢) ابن رشيق: العمدة: ١/٢٠٤ – ٢١٥.

(٣) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: ج٣، ص ١٣٠٧.

» جب شعر سرانجام ہو جائے تو اسپر بار بار نظر ڈالتی جائے اور جہاں تک ہو سکے اسمیں خوب تنقیح و تہذیب کرنی چاہے پھر یہی اگر شعر میں جودت اور خوبی پیدا نہ ہو تو اسکو دور کرنے میں پس و پیش نہ کرنا چاہے جیسا کہ اکثر شعرا کیا کرتے انسان اپنے کلام پر اسلے کہ وہ اسکی مجازی اولاد ہوتی ہے مفتون اور فریفتہ ہوتا ہے پس اگر اسکے دور کرنے میں مضائقہ کیا جائیگا تو ایک بُرے شعر کے سبب سارا کلام درجۃ بلاغت سے گرجائے گا« (۱)۔

۲ - النص الثانی: يقول ابن خلدون فی مقدمته:

اعلم أن لعمل الشعر واحكام صناعته شروطاً أولاً: «الحفظ من جنسه حتى تنشأ فی النفس ملكة ينسج علی منوالها... ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر ردئ... فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعراً وإنما هو نظم ساقط. ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحن القريحة للنسج علی المنوال يقبل النظم بالإكثار منه تستحكم ملكته وترسخ» (۲)۔

و ترجم حالی هذا النص فی مقدمته تحت عنوان «يجب حفظ أشعار فحول الشعراء» فيقول:

» شاعر کوا علیٰ طبقه کے شعرا کا کلام یا دھونا چاہے تاکہ وہ اپنی شعر کی بنیاد اسی منوال پر رکھے۔ جو شخص اساتذہ کے کلام سے خالی الذہن ہوگا اگر وہ محض طبیعت کی ایج سے کجھ لکھ بھی لے گا تو اسکو شعر نہیں بلکہ نظم ساقط از اعتبار یا ٹکسال سے باہر کہیں گے پس جب اسکا حافظہ بلغا کے کلام سے بُر ہو جائے اور انکی روش ذہن کی لوح برنقش ہو جائے تب فکر شعر کی طرف متوجہ ہونا چاہے اب جسقدر مشق زیادہ ہوگی اسقدر ملکہ شاعری مستحکم ہوگا« (۳)۔

و يعقب حالی علی هذا الرأي بقوله أن «هذه النصيحة التي يقدمها ابن رشيق ربما تكون مناسبة للشعر العربي، لأنه دار عليه زمن طويل ومر عليه أكثر من ألف عام وقد بزغ في كل طبقة وكل عهد شاعر اسمي وأفضل من الآخر واتسعت دائرة اللغة اتساعاً

(۱) حالی: مقدمة شعر وشاعری، ص ۴۳۔

(۲) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون: ج ۳، ص ۱۳۰۶۔

(۳) حالی: مقدمة شعر وشاعری ص ۴۵ - ۴۶۔

کبیراً.. . علی عکس اللغة الاردية الوليدة» (۱)۔

ولعل ارتباط المهارة بإعادة سبك العناصر القديمة تفرض أول قاعدة من قواعد الصنعة وهي «الحفظ» وذلك أمر طبيعي فكلما كثر المحفوظ كثرت المواد بين الشاعر ورحب المجال أمامه في إعادة السبك وساعده كمال عقله إلى البدائع (۲)۔

فعلى الشاعر المحدث أن يتأمل الشعر الجيد بل ويديم النظر في الأشعار لتلصق معانيها في فهمه وترسخ أصولها في قلبه وتصير مواد الطبيعة ويذوب لسانه بالفاظها فإذا جاش فكره بالشعر أدى إليه نتائج ما استفاده مما نظر فيه من تلك الأشعار فكانت تلك النتيجة كسبيكه مفرغة من جميع الأصناف التي تخرجها المعادن» (۳)۔

۳ - النص الثالث : ويقول ابن خلدون :

«ربما يقال أن من شروطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها، فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتعش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليها بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة» (۴)۔

وهذا النص لابن خلدون أيضا ولكن حالى نسبه إلى ابن رشيق فيقول :

يقول ابن رشيق بعد ذلك أن : «بعضون كى رائى به هے كه ايك بار اساتذه كے كلام پرتفصیلی نظر طدال كراسكو صفحہء خاطر سے محو كرديناچا هے كيونكه اسكا بعينه ذهن میں محفوظ رہنا ويسهی تركيبون اور اسلوبون استعمال کرنے سے هميشه مانع هوگا ليكن جب وه كلام صفحہء خاطر سے محو هوجائىگا توبسبب اس رنگ كے جو كلام بلغاكي سير کرنے سے طبيعت بر خود بخود چرطه گيا هے اسمیں ايك ايساملكه پيدا هوجائىگا كه ويسى هے تركيبين اور اسلوب جيسے كه اساتذه كے كلام میں واقع هونے هيس دوسرے لفظون میں خود بخود بغير اس تصود كے كه به تركيب فلان تركيب بر مبنى هے اور به اسلوب فلان اسلوب كاچربا هے جيسے ضرورت بر طے گي بناتا چلا جائىگا» (۵)۔

(۱) حالى : مقدمة شعر وشاعرى : ص ۴۳ .

(۲) ابن طباطبا : عيار الشعر : ص ۱۰ .

(۳) جابر عصفور : مفهوم الشعر : ص ۳۴ .

(۴) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون . ج ۳ ص ۱۳۰۶ - ۱۳۰۷ .

(۵) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ۴۶ - ۴۷ .

ويعقب حالي على رأى ابن خلدون قائلاً: «هذا الرأى عندنا أكثر قبولا وجديراً بالاحترام عن الرأى الأول، فما دام الشاعر لا يمحو من ذهنه شعر الفحول فسيبقى طبعه محصوراً ومقيداً بطرقهم وأساليبهم والتي تصبح بمثابة الطبيعة الثانية بسبب كثرة قراءتها وحفظها والتي بسببها لا تظهر ملكة إبداع الأساليب والطرق الجديدة فى البيان عند الشعراء ونتيجة لهذا لا يتقدم فن الشعر قيد أنملة»^(١).

ويستعرض حالي آراء النقاد فى الشعر الجيد حتى يصل إلى الرأى الأخير فى تعريف الشعر الجيد الذى يميل إليه ويسلم به فيقول: «وفى رأى أن قول ابن رشيق فى هذا الصدد هو أفضل قول، فيقول:

فإذا قيل أطمع الناس طراً
وإذا ريم أعجز المعجزينا

ويقول حالي: «الحق أن ابن رشيق قد عرف الشعر الجيد بلطافه وجمال لا يمكن تصوره فى حد الشعر أفضل من هذا وكأنه قد عرف الشعر الجيد بشعر بنفس الجودة والسمو التى يحتاج إليها الشعر»^(٢).

فهذا التعريف للشعر الجيد الذى سلم به حالي ورأى أنه أفضل تعريف للشعر الجيد ونسبه لابن رشيق خطأ يؤكد صدق رأينا السابق من أن حالي لم يطلع على كتاب «العمدة» وأنه اعتم دفى ذلك على ما ذكره ابن خلدون فى المقدمة عن ابن رشيق، وقد ذكر ابن خلدون هذا البيت فى مقدمته ضمن قصيدة طويلة فى صناعة الشعر فقال: «وقد نظم الناس فى أمر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن أحسن ما قيل فى ذلك وأظنه لابن رشيق»^(٣) ثم ذكر أبياتا طويلة حتى وصل إلى هذا البيت.

بيد أننا إذا رجعنا إلى كتاب العمدة الذى أخذ عنه كل من ابن خلدون وحالي نرى أن ابن رشيق قد كتب فى باب (فى أغراض الشعر وصنوفه) أن هذا البيت لآبى العباسى الناشئ من قصيدة مطلعها:

لعن الله صنعة الشعر، ماذا
من صنوف الجهال فيها لقينا؟

إلى أن يصل إلى قوله:

(١) حالي: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٧.

(٢) حالي: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٢.

(٣) ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ص ١٣٠٨.

وأصح القريض ما فات في النظم وإن كان واضحاً مستبيناً

وإذا قيل أطمع الناس طراً وإذا ريم أعجز المعجزينا^(١)

إذا فهذا البيت الأخير الذى نسبه ابن خلدون على سبيل الظن لابن رشيق قد نسبه حالى خطأ لابن رشيق وهو للعباس الناشئ وهو من شعراء بنى بويه واسمه على عبد الله ابن وصيف .

وبعد ذلك عقد حالى فى مقدمة شعر وشاعرى باباً للمقارنة بين تعريف «العباسى الناشئ» الذى نسبه خطأ لابن رشيق وبين تعريف ميلتون للشعر الجيد وهو أن يكون الشعر «بسيطاً ومفعماً بالاحساس والانفعال»^(٢) أو بعبارة أخرى «بسيطاً شعوريا مؤثراً»^(٣) على الرغم من أن هذا سرد لبعض صفات الشعر لا حد له .

فيرى حالى أن «هناك فرقاً دقيقاً فى تعريف كل من ابن رشيق وميلتون للشعر فيفهم من تعريف ابن رشيق ان الشعر الجيد مرهون على كثرة محاسن الصدق فى نهاياته أى قوافيه والتي لا دخل لإرادة الشاعر فيها وأن الشاعر لا يخبرنا بطريقة نظمة للشعر الجيد بل يعرفنا بأن أى شعر من أشعار الشاعر يمكن أن يعتبر جيداً، أما ميلتون فيتوفر فى تعريفه كلا الجانبين فمن تعريفه للشعر يعرف كلا الشرطين وهما أركان نظم الشعر الجيد ومعرفة الشعر الجيد كذلك»^(٤) .

ومما سبق يتضح جلياً عدم اهتمام حالى بتحرى الدقة فى نقل النصوص وكذلك عدم ذكر المصادر التى أخذ منها إلا نادراً وينسب أقوالاً لغير قائلها وافتقد إلى التدقيق والتحصيص وكما مر بنا فقد ذكر ثلاثة نصوص لابن خلدون ونسبها خطأ لابن رشيق كما انطق ابن رشيق البيت الذى استحسنته فى تعريف الشعر الجيد ويبدو من هذا أن حالى كان من أشد المعجبين بابن خلدون وأرائه فى صناعة الشعر ونقده وقد نقل من مقدمته كل النصوص والآراء التى ذكرها لابن رشيق .

(١) ابن رشيق: العمدة : ١١٣/٢ - ١١٤ .

(٢) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبى ص ٢٩٧ .

(٣) ماثيوارنولد : مقالات فى النقد، ترجمة على جمال الدين عزت ج١ ، ص ٨١ .

(٤) حالى : مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٣ .

ذکر حالی فی مقدمه شعر وشاعری « نصین لابن خلدون نقلهما من مقدمته، والنص الاول الذی أشار إليه حالی يتعلق بقضية اللفظ والمعنى وهو « انشا پردازى كاهنر

نظم مين هو يا نثرمين محض الفاظ مين هے، معانى مين هرگز نهيس معانى صرف الفاظ كے تابع هيس اور اصل الفاظ هے، معانى، هر شخص كے ذه مين موجود مين پس انكے لے كسى هنر كے اكتساب كرنے كى ضرورت نهيس هے اگر ضرورت هے تو صرف اسے بات كى هے كه ان معانى كو كس طرح الفاظ مين ادا كيا جاے وه كهتے پس كه الفاظ كوايسا سمجھه جيسے پيالہ اور معانى كوايسا سمجھه جيسے پانى - پانى كو چاهو سونے كے پيالہ مين بهرلو اور چاهو چاند كے پيالہ مين اور چاهو كانچ يا بلور يا سيب كے پيالہ مين - اور چاهو مٹی كے پيالہ مين پانے كى ذات مين كچھ فرق نهين آتا مگر سونے يا چاندى وغيره كے پيالہ مين اسكى قدر برطه جاتى هے اور متى كے پيالہ كم هوجاتى هے اسى طرح معانى كى قدر ايك فصيح اور ماهر كے بيان مين زياده هوجاتى هے اور غير فصيح كے بيان مين گھب جاتى هے (۱) .

ويقول ابن خلدون فى مقدمته : « اعلم أن صناعة الكلام نظماً أو نثراً إنما هى فى الالفاظ لا فى المعانى والمعانى موجودة عند كل واحد فلا تحتاج إلى صناعة وهى بمثابة القوالب للمعانى فكما أن الأوانى التى يغترف بها الماء من البحر منها آتية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد فى نفسه، وتختلف الجودة فى الأوانى المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء، كذلك جودة اللغة وبلوغها فى الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام فى تأليفه (۲) .

وعلى الرغم من أن حالى رجح اللفظ على المعنى إلا أنه لا يسلم برأى ابن خلدون ويؤكد على ضرورة الاهتمام بالمعانى كذلك، فيقول: « نحن نعترف بأن الالفاظ محور الشعر أكثر من المعانى، لأن المعانى مهما كانت لطيفة وجيدة وسامية لا يمكن أن تجد لنفسها مكانا فى قلوب الناس ما دامت لم تؤدى فى الفاظ جيدة قوية، وأن الموضوع

(۱) حالى : مقدمه شعر وشاعرى ص ۴۳ - ۴۴ .

(۲) ابن خلدون : مقدمه ابن خلدون ج ۳ ص ۱۳۱۲، ۱۳۱۳ .

المبتذل فى ثوب الفاظ جميلة يمكن أن يكون جديراً بالثناء» (١).

والنص الثانى الذى ذكره حالى فى مقدمة شعر وشاعرى نقلاً عن مقدمة ابن خلدون هو رأى ابن خلدون فى تعلم لغة قوم ما، فىقول حالى: يرى ابن خلدون أن «ايك أعجمى فصحاء عرب كى كلام كى ممارست م اهل زبان مىن شمار كرنى كى لائق هوسكتاهى» (٢).

أى أن «الأعجمى بممارسة كلام العرب يصير كواحد منهم» (٣) «وهذا الرأى الذى نقله حالى من مقدمة ابن خلدون إلى مقدمته بعد أن ترجمة للأردية هو خلاصة لباب عقده ابن خلدون فى إمكان تعلم العجم لغة العرب والنبوغ فىها بعد التمرس والاعتىاد وضرب مثلاً على ذلك بالأعاجم الداخلىن فى اللسان العربى المضطربىن إلى النطق به لمخالطة أهله كالفرس والروم والترك بالمشرق والبربر بالمغرب وىذكر أن سىبويه الفارسى والزمخشرى وغيرهم من فرسان الكلام كانوا أعجماً مع حصول هذه الملكة لهم».

وىرى حالى أن هذا الأمر ىستحق أكثر من ذلك بالنسبة لسكان الهند، فإنهم بمزاولة كلام أهل اللغة أولى وأحق أن ىصبحوا من أهل اللغة.

٤ - العقد الفرى لابن عبد ربه :

وهذا الكتاب من أكثر الكتب التى تأثر بها حالى ونقل عنه العىد من الأصول والآراء النقدية ومعظم الأخبار والشواهد فى قضية الكذب والمبالغة فى الشعر ولكنه لم ىصرح بذلك إلا فى موضعىن من «مقدمة شعر وشاعرى».

والموضوع الأول الذى صرح حالى قىه بكتاب العقد الفرى هو استشهاده برأى ابن عبد ربه فى الشعر الجىد بعد أن استعرض آراء مىلتون والأصمعى والخللى بن أحمد فى الشعر الجىد، وىذكر ما قاله ابن عبد ربه فى باب «أى بىست تقوله العرب أشعر» فىقول: «وكتب صاحب العقد الفرى أن أفضل قول فى هذا الباب هو قول زهىر بن أبى سلمى:

(١) حالى: المرجع السابق ص ٤٤.

(٢) حالى: المرجع السابق ص ٩٠.

(٣) ابن خلدون: مقدمه ابن خلدون: ج ١ ص ١٢٩٠ - ١٢٩١.

وأن أحسن بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته: صدقا^(١)

والموضع الثانى الذى صرح حالى فيه بكتاب العقد الفريد هو ما نقله حالى عن ابن عبد ربه فى شأن المدح فيقول: «قال صاحب العقد الفريد: ان شعرا العرب كانوا يرفعون شأن الممدوحين وكرامتهم بمدحهم ويحقرون الناس بهجائهم»^(٢) وفيما عدا هذين الموصفين فقد نقل حالى عن ابن عبد ربه كثيرا من الآراء ولم يصرح بها وسوف أستعرض هذه الآراء فى الصفحات القادمة.

٥ - ألف ليلة وليلة :

صرح حالى بكتاب ألف ليلة وليلة مرة واحدة عندما نقل عنه قصة «قاسم وعلى بابا» الشهيرة وذلك عندما تناول حالى أهمية تسخير اللفاظ وأن الكلمة لا تستطيع أن تحمل محل أى كلمة أخرى وذلك لاختلاف معنى كل منهما عن الآخر «فإذا وضع مكان أى لفظ مرادفه أو غير من تركيب الجملة فيبدو التأثير كله سريعا، فلو أراد أن يقيم شخص نفس التأثير السحرى بعد أن يغير فى كلامه فإنه سوف يجد نفسه فى ورطة مثلما وجد قاسم نفسه فى قصة ألف ليلة وليلة حينما كان يصرخ أمام الباب قائلا: «افتح يا قمع» «افتح يا شعير» لكن الباب لم يفتح أبداً إلا أن يقول: «افتح يا سمس»^(٣).

وفيما عدا هذه المصادر الخمسة الذى صرح حالى بها فى «مقدمة شعر وشاعرى» فإنه لم يصرح بأى مصدر آخر نقل عنه فى المقدمة وخاصة العقد الفريد الذى نقل حالى كثيرا من آرائه النقدية ولكنه لم يصرح بها، وفيما يلى سأستعرض الاصول والافكار والآراء التى تأثر حالى بها وأخذها من الكتب والمصادر العربية دون أن يشير إليها.

(١) هذا البيت منسوب خطأ لزهير وهو لحسان بن ثابت انظر: ديوانه طبعة القاهرة ١٩٧٤ م ص ٢٧٧، وقد نسب ابن عبد ربه فى العقد الفريد لزهير خطأ وتبعه حالى فى ذلك، انظر: العقد الفريد: ١٥١/٦، ابن رشيح العمدة: ١١٤/١، عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة: ص ٢٤٩، حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٢.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٨، ابن عبد ربه: العقد الفريد: ١٥٢/٦.

(٣) حالى: مقدمه شعر وشاعرى: ص ٥٠ - ٥١.

١ - أشار حالي^(١) إلى قصة الأعشى والمخلق للدلالة على تأثير الشعر الجاهلي وهي قصة مشهورة ذكرتها كثير من كتب الأدب وتحكى أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكان للمخلق امرأة عاقلة وقيل بل أم، فقالت للمخلق أن الأعشى قدم وهو رجل مفوه، محدود في الشعر، ما مدح أحداً إلا رفعه ولا هجا أحداً إلا وضعه وأنت رجل فقير خامل الذكر وذو بنات وعندنا لقحة نعيش بها فلو سبقت الناس إليه فدعوته إلى الضيافة، ونحرت له واحتلت لك فيما تشتري به شرابا يتعاطاه، لرجوت لك حسن العاقبة، فسبق إليه المخلق ونحرت له فلما أكل الأعشى وأصحابه قدم إليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها، فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات فقال الأعشى كفيت أمرهن وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق وما بى من سقم وما بى معشوق^(٢)
إلى قوله :

نفى الذم عن آل المخلق جفنه كجايبه الشيخ العراقي تفهق
ترى القوم فيها شارعين وبينهم مع القوم ولدان من النسل درق

فما أتم القصيدة إلا والناس ينسلون إلى المخلق ويهنئونه، والأشراف من كل قبيلة يتسابقون إليه جرياً يخطبون بناته لمكان شعر الأعشى فلم تمس منهن واحدة إلا فى عصمة رجل أفضل من أبيها الف ضعف، وهذه القصيدة طويلة تحتوى على ٦٢ بيت^(٣).

٢ - وفى موضع آخر أشار حالي^(٤) إلى قصيدة للأعشى كذلك فى مدح الرسول على الصلاة والسلام ولكنه لم يذكر أبيات منها، وهذه القصيدة مطلعها :

الم تغمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا^(٥)

(١) حالي : مقدمه شعر وشاعرى، ص ٨ .

(٢) الأعشى : ديوان الأعشى ص ٢١٧ - ٢٢٣ .

(٣) ابن رشيق : العمدة : ٤٨/١ - ٤٩، الأغاني : ١١٣/٩ - ١١٧، العقد الفريد : ١٥٤/٦ - ١٥٥، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ٢٥٨/١ .

(٤) حالي : مقدمه شعر وشاعر ص ٨ .

(٥) الأعشى : ديوان الأعشى ص ١٣٠ - ١٣٧ .

وهي قصيدة طويلة في أربعة عشرين بيتاً وينتهي بقوله :

ولا تقربين جادة إن سرها عليك حرام فانكحني أو تابداً

ولهذه القصيدة قصة مشهورة تتلخص في أن الأعشى خرج إلى النبي يريد الإسلام وقد أعد هذه القصيدة ليمدحه بها وكان ذلك في المدة بين صلح الحديبية سنة ٦هـ وفتح مكة سنة ٨هـ، فلما بلغ مكة وعلمت قريش ما قصد له فمازالوا يبغضون إليه الإسلام ويغرونه بالمال حتى صدوه عن وجهته بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء، ففعل الأعشى راجعاً إلى اليمامة . ثم ما لبث أن مات من عامه^(١) .

٣ - ويشير حالي إلى^(٢) مثال آخر يدل به على تأثير الشعر في العصر الجاهلي وهي قصة عمرو بن معدى كرب وتعبير أخته كبشه له لقبول دية أخيه عبد الله وكان سيد قبيلته وذات يوم جلس مع بني مازن يشرب الخمر وكان هناك عبد يسقى القوم فبدأ يتغنى بامرأة من بني زبيد فلطمه عبد الله فقام رجل سكران من بني مازن وقتل عبد الله، فسارع بنو مازن إلى أخيه عمرو بن معدى كرب وقالوا له : أن أخاك قتله رجل منا سفيه وهو سكران ونحن يدك وعضدك، فنسالك الرحم وإلا أخذت الدية ما أحببت فهم عمرو بذلك فبلغ ذلك أخته كبشه وكانت ناكحاً في بني الحارث بن كعب فغضبت وقالت شعراً تعبر عمراً^(٣) :

أرسل عبد الله إذ حان يومه	إلى قوميه لاتعقلوا لهم دمي
ولا تأخذوا منهم أقالا وأبكارا	واترك في بيت يصمعه مظلم
ودع عنك عمراً أن عمراً مسالم	وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم
فإن أنتم لم تشاروا واتديتم	فمشوا بأذان النعمام المصلم
ولا تردوا إلا فضول نسائكم	إذا ارتملت أعقابهن من الدم

وقد ذكر حالي هذه الأبيات الستة ويذكر التبريزي في شرحه لديوان الحماسة بيتاً آخر

هو :

(١) الأغانى : ٩ / ١٢٥ ، ابن هشام السيرة النبوية : ١ / ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) حالي : مقدمة شعر وشاعري ص ٩ .

(٣) الأغانى : ١٠ / ٢٣٠ - ٢٣١ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء : ١ / ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، الجاحظ : الحيوان :

لا تذكروا حال الملوك فإنكم بعد الزبير كحائض لم تغتسل (١)

٤ - تناول حالي قدر الشعراء ومنزلتهم عند العرب في مقدمته وعقد باباً لهذا الغرض واستعان بآراء النقاد العرب فيقول (٢): « كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، وتتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذبح عن أحسابهم وتخليداً لمآثرهم وأشادة لذكوره» (٣) وقد نقل حالي هذا النص من كتاب «المزهر في علوم اللغة» لجلال الدين السيوطي ولكنه لم يشر إليه.

٥ - يذكر حالي في مقدمة شعر وشاعري (٤) «مثالاً ثالثاً على تأثير الشعر الجاهلي فيذكر قصة الأعشى مع علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل وهجاء الأعشى لعلقمة ومدحه لعامر، وهذه القصة موجودة في كثير من كتب الأدب وذكرها ابن رشيقي في كتابه العمدة فيقول: لما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة أقاما عند هرم ابن قطبة بن سنان سنة لا يقضى لأحدهما على الآخر إلى أن قدم الأعشى وكان لعامر عنده يد فقال:

علقم ما أنت إلى عامر السناقص الأوتار والواتر
ان تسد الحوض فلم تعدهم وعامر ساد بنى عامر
فرواه الناس وافترقوا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعشى في شعره وكان في رأى
هرم على قول أكثر الناس خلاف ذلك وهي قصيدة طويلة في ستين بيتاً تبدأ بقول
الأعشى (٥):

شاقتك من قتله أطلالها بالشط فالوتر إلى حاجر
وهجا الأعشى لعلقمة بقوله:

وتبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثي بيتن خمائصا

(١) أبي تمام: شرح ديوان الحماسة (شرح التبريزي) ج١: ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) حالي مقدمه شعر وشاعري ص ١٨.

(٣) جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة: ج٢ ص ٤٧٣.

(٤) حالي: مقدمه شعر وشاعري: ص ١٨ - ١٩.

(٥) الأعشى: ديوان الأعشى ص ١٣٩ - ١٤٧.

فلما سمع علقمة هذا البيت بكى وقال أنحن نفعل ذلك بجاراتنا؟^(١).

وقلنا أين نرحل بعد ممن وقد ذهب النوال فلا نوالا^(٢)

وهذه القصيدة من أشهر قصائد الرثاء وتبدأ بقوله:

مضى لسبيله ممن وأبقى مكارم لن تبيد ولن تنالا

وهي قصيدة طويلة وعدد أبياتها خمسة وثلاثون بيتاً إلى قوله:

وقلنا أين نرحل بعد ممن وقد ذهب النوال فلا نوالا

سيدكرك الخليفة غير قال إذا هو بالأمور بلا الرجالا^(٣)

وكان الخليفة المهدي قد أخرجه من بلاطه بعد أن استنشده هذا البيت ولم يعطه أحد سوى جعفر البرمكي، وقد جاء ذكر هذا الخبر في «الأغاني» فقد دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم تسلم الخاسر وغيره فأنشده مديحاً فيه، فقال له: ومن أنت؟ فقال شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة، فقال المهدي قد ذهب النوال كما قلت فلما جئت تطلب النوال، لا شيء عندنا، جروا برجله، فجروا برجله حتى أخرج^(٤).

وذكر حالي رثاء معن بن زائدة مرة أخرى في حديثه عن المرائي الأردنية^(٥).

٧ - أشار حالي إلى المرائي العربية مرة أخرى في مقدمته عندما ذكر بيتين قالهما الرقاشي في رثاء البرامكة وهو الفضل بن الرقاشي وكان من «رقاش» من أهل الري من المعجم وهو كثير الشعر، قليل الجيد وكان منقطعاً إلى البرمكة يمدحهم ويعيش بهم فلما زال أمرهم خرج إلى خراسان واتصل بطاهر بن الحسين وما زال بهاحتى مات^(٦) وقد ذكر حالي بيتين هما:

(١) ابن رشيقي: العمدة: ٥٣/١، ابن قتيبة: الشعر والشعراء ١/٢٦٠، الأغاني: ٩/١٢٠-١٢١، ابن سلام:

طبقات فحول الشعراء ١/١١١.

(٢) حالي: مقدمه شعر وشاعري ص ١٩.

(٣) ابن المعتز: طبقات الشعراء: ص ٤٥-٤٦، ٥١، ٥٣ ابن قتيبة: الشعر والشعراء ج٢ ص ٧٦٣، ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج٤ ص ٢٢٠ ابن خلكان: وفيات الأعيان: ترجمة معن بن زائدة ص ٢٤٤ - ٢٥١.

(٤) الأغاني: ١٠/٨٧/٨٨.

(٥) حالي: مقدمه شعر وشاعري ص ١٦٤.

(٦) ابن المعتز: طبقات الشعراء ص ٢٢٦، ٢٢٧.

أما والله لولا خوف واش وعين للخليـفـه لا تنام
لطفنا حول قبرك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام^(١)

وقد قالها الرقاش عندما رأى جعفر بن يحيى البرمكى مصلوباً على الجذع فوقف ييكي وعندما علم هارون الرشيد بذلك أحضره وعنفه. وقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال يا أمير المؤمنين كان إلي محسناً، فلما رأيتـه على الحال التي هو عليها حركني إحسانه فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت. قال وكم كان يجري عليك؟ قال ألف دينار في كل سنة قال: فإننا قد أضعفناها لك^(٢).

٨ - استشهد حالي ببيت ابن دراج القسطلي الأندلسي في وصف ابنه الرضيع عندما عزم على السفر كمثال على الشعر الجيد^(٣).

عيسى بمرجوع الخطاب والحظه بموقع أهواء النفوس خبير^(٤)
وهذا البيت من قصيدة يمدح بها ابن دراج المنصور بن أبي عامر ومطلعها:
دعى عزومات المستضام تسير فتتجد في عرض الفلا وتفور

٩ - عقد حالي بابا باسم «كثرة الحماسة في الشعر العربي والعبري»^(٥) وذكر حالي - متأثراً برأى أحد الأوربيين أن الشعر العبري شعر حماسي وأن الشعر العربي تأثر بهذه الحماسة وهذا بالطبع رأى خاطيء لأن الدراسات الحديثة أثبتت عكس ذلك وأن شعر الفروسية في أوروبا تأثر بالشعر الحماسي العربي، ويستطرد حالي قائلاً إن العرب لم يترجموا ديوان شعر يونانياً واحداً ضمن ما ترجموه في أيام الدولة العباسية ويغفل كتاب «فن الشعر» لأرسطو الذي ترجم إلى العربية وقام ابن رشد وابن سينا بدراسته بدقه ولخصوا قضاياها، ثم يذكر حالي أبيات في الفخر مليئة بالحماس لبشامة بن حزن النهشلي للدلالة على قوة العاطفة في الشعر العربي وقد نقلها حالي من كتاب الحماسة لأبي تمام وهي قصيدة تحتوى على ثلاثة عشر بيتاً

(١) حالي: مقدمه شعر وشاعري ص ٢٠.

(٢) الأغاني: ٢٤٩/١٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٢٤٩/٥ - ٢٥١.

(٣) حالي: مقدمه شعر وشاعري ص ٣٢.

(٤) ديوان ابن دراج القسطلي: تحقيق محمود على مكى ص ٢٩٨ وأحمد هيكل: الادب الأندلسي ص

١٣٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١٣٥/١ - ١٣٧.

(٥) حالي: مقدمه شعر وشاعري ص ٥٧.

اكتفى حالي بنقل تسعة أبيات فقط بعد ترجمتها إلى اللغة الأردنية مع اعترافه بأن
ترجمة الشعر تفسد من جماله ورونقه وهي :

أنا بنى نسهل لا ندعى لاب	عنه ولا هو بالأبناء يشـرنا
أن تبندر غاية يوماً لمكرمه	تلق السوابق منا والمصلينا
ليس يهلك منا سيد أبداً	إلا افتلينا غلاما سيدا فينا
إننا لنرخص يوم الروع أنفسنا	ولو نسام بها في الأمن أغلينا
بيض مفارقنا تغلى مـراجـلنا	ناسو بأمـوالنا آثار أيدينا
إني لمن معشر أفنى أوائلهم	قول الكمأة ألا أين المحامونا
لو كان في الألف منا واحد فدعوا	من فارس خالهم إياه يعنونا
ولا نراهم وإن حلت مصيبتهم	مع البكاة على من مات يـبـكونا
ونركب الكره أحيانا فيفرجه	عنا الحفاظ وأسيف تواتينا ^(١)

وقد أخطأ حالي في ترجمة البيت الثاني من قصيدة بشامة بن حزن إلى اللغة
الأردية .

١٠- حاول حالي أن يطبق رأى ميلتون في الشعر الجيد على الشعر العربي والفارسي
والاردى فذكر ستة عشر مثالا من أشعار هذه اللغات مما ينطبق عليها شرط أو
شرطين أو الشروط الثلاثة لميلتون وذكر من هذه الأمثلة مثلين من الشعر هما :

١ - المثل الأول الذى أورده^(٢) حالي كمثال للشعر الجيد هو قول يحيى بن زياد فى
وصف الشيب ولكنه نسبه إلى ابن يحيى بن زيادة :

ولما رأيت الشيب لاح بياضه	بمفرق رأسى قلت للشيب مرحباً
ولو خفت أنى كففت تحيىتى	تنكب عنى رمت أن يتنكبيا
ولكن إذا ما حل كره فسامحت	به النفس يوماً كان للكره أذهباً

(١) أبى تمام : ديوان الحماسة : شرح المرزوقى : ج ١ ، ص ١٠٢ - ١٠٩ . - ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج ٢ ،
٦٣٨ .

(٢) حالي : مقدمة شعر وشاعرى ص ٦٠ .

وهو وصف رائع للشيب وقد نقل حالي هذه الأبيات من ديوان الحماسة لابي تمام^(١).

ب - والمثل الثاني^(٢) هو رثاء متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك الذي قتله عزار بن الأزور وهي أبيات مشهورة نقلها حالي من ديوان الحماسة أيضاً:

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقى لتذراف الدموع السوافك
فقال أتبكي كل قبر رأيتَه لقبر ثوى بين اللوى والدكادك
فقلت له إن الشجا يبعثُ الشجا فدعنى فهذا كله قبر مالك^(٣)

وهذه القصيدة من أروع قصائد الرثاء وقد تأثر بها عمر بن الخطاب عندما استنشده إياها وقال هذا والله التأبين! ولو وددت أنى أحسن الشعر فأرثى أخى زيداً بمثل ما رثيت أخاك، فقال متمم: لو كان أخى مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته. فقال عمر: ما عزاني أحد عن أخى بمثل ما عزاني به متمم^(٤).

وقد ذكرت هذه الأبيات فى كتب الأدب وقد ذكر أبى على القالى قصة هذه الأبيات فقال «حدثنا أبو بكر فقال: حدثنى أبو حاتم وعبد الرحمن عن الأصمعى قال: قد كان متمم بن نويرة بالعراق فأقبل لا يرى قبراً إلا بكى عليه فقيل له: يموت أخوك بالملا وتبكي أنت على قبر بالعراق!! فقال هذه الأبيات^(٥).

ويقول ابن رشد فى تلخيص كتاب «الشعر» لارسطو بعد ذكر هذه الأبيات: «والنوع الثالث من المحاكاة هى المحاكاة التى تقع بالتذكر وذلك أن يورد الشاعر شيئاً يتذكر به شىء آخر مثل أن يرى إنسان خط إنسان فيتذكره فيحزن عليه إن كان ميتاً ويتشوق إليه إن كان حياً مثل قول متمم بن نويرة فى رثاء أخيه مالك^(٦).

(١) أبى تمام: ديوان الحماسة (شرح التبريزى) ج ٣ ص ٧٥ - ٧٦.

(٢) حالي: مقدمة شعر وشاعرى ص ٦٠.

(٣) أبى تمام: المرجع السابق ج ٢: ص ١٤٨ وابن خلكان وفيات الأعيان ج ٦ ص ١٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج ٣ ص ١٩٣، ابن رشيق: العمدة ٧٦/٢١.

(٤) ابن سلام: طبقات فحول الشعراء: ج ١ ص ٢٠٤.

(٥) أبى على القالى: الامالى ج ٢، ص ١.

(٦) أرسطو: فن الشعر: ترجمة عبد الرحمن بدوى ص ٢٥٥.

١١- ذكر حالي^(١) المقولة النقدية الشهيرة «أحسن الشعر أكذبه» وذلك عندما تحدث عن قضية الكذب والصدق في الشعر وهي في رأيه تنطبق على الشعر الأردى ولكنه يأسف لذلك ويرى ضرورة أن يتمسك كل شاعر بجانب الصدق في شعره، ولهذه المقولة جذور عميقة في النقد العربي فما من ناقد إلا وقد تعرض لها.

وقد نقل حالي هذه المقولة من قدامة بن جعفر حيث يقول: «إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: «أحسن الشعر أكذبه» وكذا نرى فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم»^(٢).

١٢- تحدث حالي^(٣) في المقدمة عن أشعر بيت والتعريف الكامل للشعر واستشهد في ذلك برأى الأصمعي حينما سأل عن «أى بيت تقوله العرب أشعر» فقال: الذى يسابق لفظه معناه^(٤).

وكذلك رأى الخليل بن أحمد: وهو البيت الذى يكون فى أوله دليل على قافيته^(٥).

ويرى حالي أن تعريف الأصمعي جامع وغير مانع أما تعريف الخليل بن أحمد فهو غير جامع وغير مانع.

١٣- وعقد حالي باباً فى المقدمة عن «تجنب المبالغة والكذب» واستعان بكتاب «العقد الفريد» فى معظم الشواهد والأخبار التى ذكرها ليدلل بها على آرائه النقدية التى ذكرها فى هذا الباب^(٦) ومنها قوله: كان شعراء العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ينفرون كثيراً من الكذب ويعتبرونه من ضمن عيوب الشعر، فقد قال زهير بن أبى سلمى الذى كان شاعراً من شعراء الطبقة الأولى «أحسن القول ما صدقه الفعل» وله بيت مشهور فى هذا الباب:

(١) حالي مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٠.

(٢) قدامة بن جعفر: نقد الشعر ص ٩٤.

(٣) حالي: المرجع السابق: ص ٧٢.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ١٥١/٦.

(٥) ابن عبد ربه: المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) حالي: المرجع السابق: ص ٧٧ - ٧٨.

وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أنشدته صدقاً^(١)

وقد نسب حالي لزهير قوله «أحسن القول ما صدقه الفعل» وهو ليس لزهير بل هو تعقيب لابن عبد ربه على بيت زهير المنسوب خطأ إليه وهو لحسان بن ثابت .

ثم يقول حالي: «وينسب لسيدنا عمر بن الخطاب قوله في زهير» إنه أشعر الشعراء لأنه لا يمدح إلا مستحقاً» وقد نقله حالي بتصرف من كتاب «العقد الفريد»^(٢) حيث يحكى ابن عبد ربه قوله: قال عمر لابن عباس أنشدني لأشعر الناس الذى لا يعاضل بين القوافى ولا يتبع حوشى الكلام. قال: من ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال زهير بن أبى سلمى فلم يزل ينشده من شعره حتى أصبح وكان زهير لا يمدح إلا مستحقاً كمدحه لستان بن أبى حارثة وهرم بن سنان» .

وأشار حالي فى نفس الباب إلى مقولة معاوية فى الشعر وقد ذكره ابن عبد ربه فى كتابه فقد «بعث زياد بولده إلى معاوية فكاشفه عن فنون من العلم فوجده عالماً بكل ما سأله عنه، ثم استنشده الشعر فقال لم أر ومنه شيئاً

فكتب معاوية إلى زياد: ما منعك أن ترويه الشعر؟ فوالله إن العاق ليرويه فيبير وأن البخيل ليرويه فيسخو وإن كان الجبان ليرويه فيقاتل»^(٣) .

وفى معرض حديث حالي عن المبالغة والصدق والكذب فى الشعر يذكر قول أبى نواس فى مدح الرشيد:

واخفت أهل الشرك حتى أنه لتخافك النطف التى لم تخلق

وقد اعترض عليه الناس فكيف يمكن للنطفة التى لم تخلق بعد أن تخاف؟ فلم يكن فى صف أبى نواس سوى البعض الذين أقرؤا بصحة ما جاء به بالتأويل ولم يستطع البعض الآخر أن يقول فيه شيئاً^(٤) .

وقد نقل حالي^(٥) هذا البيت من العقد الفريد «واستفاد من شرح ابن عبد ربه له

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج ٦، ص ١٠٤ .

(٢) ابن عبد ربه: المرجع السابق، نفس الصفحة، العمدة: ٩٨/١ .

(٣) الاغانى: ٢٨٩/١٠، ابن سلام: طبقات فحول الشعراء: ٦٣/١ - الشعر والشعراء، ج ١، ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج ٦، ص ١٠٨ .

(٥) حالي: مقدمة شعر وشاعرى ص ٧٨ .

حيث يقول: «وقد عاب الناس قول الحسن بن هانئ فقالوا: كيف نخاف من النطف التي لم تخلق؟ ومجاز هذا قريب إذا لفظ أن من خاف شيئاً خافه بجوارحه وسمعه وبصره والنطف داخله في هذه الجملة، فهو إذا أخاف أهل الشرك أخاف أهل النطف التي في أصلابها»^(١). ويرى أن الشعر العربي كان بعيداً عن الكذب والمبالغة سواء كان في المدح أو في الهجاء ويذكر مثال على ذلك قصة المتوكل مع أبي العيناء وهي أن المتوكل قال لبعض الشعراء ذات يوم «إلى كم تمدح الناس وتذمهم» فقال: «ما أساءوا وأحسنوا ثم قال نعوذ بالله أن نكون كالعقرب تلسب النبي والذمي».

وقد استشهد كثير من النقاد العرب بهذا البيت فذكره القاضي الجرجاني في كتابه «الوساطة» في حديثه عن أغلاط أبي نواس^(٢) وذكره قدامة في كتابه «نقد الشعر» وكذلك المرزباني في (الموشح)^(٣).

كما أشار حالي إلى قول بني تميم لسلامة بن جندل أحد شعراء العصر الجاهلي عندما قالوا له: «مجدنا بشعرك» قال: «افعلوا حتى أقول»^(٤) وذكر حالي هذا القول ليثبت به أن العرب لا يمدحون أحد ولا يذمون أحد إلا بما فيه.

١٤- قام حالي بعقد باب بعنوان «متى ينظم الشعر» ونقل فيه العديد من آراء النقاد العرب وأقوالهم في العملية الشعرية مثل أن: «القريحة تصفو أكثر من الشعر في أول الليل وقبل الكرى وأول النهار وقبل الغداء»^(٥) وقد نقل حالي هذا الرأي من «العقد الفريد» حيث يقول في باب «أحسن ما يجتلب به الشعر»: «وأسلس ما يكون الشعر أول الليل وقبل الكرى وأول النهار وقبل الغداء وعند مناجاة النفس واجتماع الفكر وأقوى ما يكون الشعر عندي على قدر قوة أسباب الرغبة والرغبة»^(٦) وقد تأثر حالي بابن عبد ربه في تسمية هذا الباب.

ثم يذكر حالي قول أحد الحكماء «لم يستدع شارد الشعر بأحسن من الماء الجاري

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج ٦، ص ١٥٩. أبي نواس: ديوان أبي نواس ص ٦٢، طبعة محمود أفندي واصف، ط ١ القاهرة ١٨٩٨م.

(٢) القاضي الجرجاني: الوساطة ص ٥٦.

(٣) المرزباني: الموشح ص ٧٨.

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج ٦، ص ١٠٤.

(٥) حالي: المرجع السابق ص ٩٧.

(٦) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج ٦، ص ١٥٢، ابن رشيق: العمدة: ٢٠٨/١.

والمكان الخالى والشرف العالى» ولم يذكر حالى صاحب هذا القول ولكن ابن رشيق قد نسب هذا القول للأصمعي^(١). إلا أن حالى لا يوافق على هذه الآراء التى أجمع عليها الشعراء والنقاد ويقول: «إن أحسن مناسبة يقول فيها الشاعر شعره هى عندما توجد لديه الرغبة الشديدة الملحة فى نظم الشعر بدون تكلفة سواء كان فى الغابة أو فى الروضة، فى مكان عامر أو خراب أو فى حديقة أو أرض فقراء أو عند الماء الجارى أو الأرض القاحلة»^(٢) على أننا لو قرأنا الجزء الأخير من القول الذى نقله حالى من العقد الفريد وهو «وأقوى ما يكون الشعر عندى على قدر قوة أسباب الرغبة والرغبة» نجد أن حالى لم يأت بجديد فى هذا رأى ولم يتعد رأيه هذا عن شرح لرأى ابن عبد ربه.

ثم يستشهد حالى بعد ذلك بقصة أبى العتاهية مع أبى نواس حيث قال أبو العتاهية له ذات مرة: «أنت الذى لا تقول الشعر حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك؟ قال: وكيف ينبغى أن يقال إلا على هكذا؟ قال: أما أنا أقوله على الكنيف! ولذلك توجد فيه الرائحة»^(٣).

إلا أن حالى لا يوافق على الرايين ويقول: إن نظم الشعر فى رأى يحتاج إلى العاطفة والرغبة الصادقة لا إلى باقات الزهور ولا إلى الجلوس فى الكنيف^(٤).

ويؤكد قوله هذا بنقل قول كثير عزة: قيل لكثير عزة لما تركت الشعر؟ قال: ذهب الشباب فما أعجب وماتت عزة فما أطرب ومات ابن أبى ليلى (أى عبد العزيز بن مروان) فما أرغب^(٥).

وكذلك قول الفرزدق: أنا أشعر الناس عند اليأس وقد يأتى على الحين وقلع ضرر عندى أهون من قول بيت شعر^(٦) «وينقل قول الخزيمى عندما قيل له: ما بال مدائحك لمحمد بن منصور أحسن من مرائك قال: كنا حينئذ نعمل على الرخاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد»^(٧).

(١) ابن رشيق: العمدة: ٢٠٦/١.

(٢) حالى: المرجع السابق ص ٩٧.

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد: ج ٦، ص ١٥١.

(٤) حالى: مقدمة شعر وشاعرى: ص ٩٧.

(٥) ابن عبد ربه: المرجع السابق ص ١٥٢.

(٦) ابن عبد ربه: المرجع السابق: نفس الصفحة.

(٧) ابن عبد ربه: المرجع السابق بنفس الصفحة وابن قتيبة: الشعر والشعراء ج ١، ص ٧٩.

ثم يعود حالي مرة أخرى ليذكر أن من دواعي قوة الشعر الرغبة والرغبة فيقول
«والدليل على صحة هذا المعنى وصدق هذا القياس أن كثير عزة والكميت وهما شيعيان
غاليان في التشيع كانت مدائحهما في بنى أمية أشرف وأجود منها في بنى هاشم وما
لذلك عليه إلا قوة أسباب الطمع»^(١).

١٥- ثم يتطرق حالي بعد ذلك إلى موضوع «السرققات الأدبية» ويسلم بأن المتأخرين
يستفيدون دائماً من أفكار القدماء وموضوعاتهم وأساليبهم ويذكر قول كعب بن
زهير كدليل على ذلك:

وما أرانا نقول إلا مـماراً أو معاداً من قولنا مكروراً^(٢)

وقضية «السرققات الأدبية» من أهم القضايا التي أولاها النقاد العرب برعايتهم فما من
ناقد إلا وتحدث عنها بالتفصيل حتى أن ابن رشيقي قد ألف كتاباً في السرققات الأدبية ولم
يكتف بالباب الذي ذكرها عنها في كتابه العمدة، وكان ابن قتيبة من أوائل النقاد الذين
تطرقوا إلى هذا الموضوع فيقول: «لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن
ولا خص قوماً دون قوم بل جعل الله ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر وجعل
كل قديم حديثاً في عصره»^(٣) ويقول ابن رشيقي: «إن ما يؤكد كلام ابن قتيبة كلام على
رضي الله عنه «لولا أن الكلام يعاد لتعد» وقول عنتره: «هل غادر الشعراء من متردم»
يدل على أنه يعد نفسه محدثاً قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له
شيئاً وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدم ولا نازعه إياه متأخر وعلى هذا
القياس يحمل قول أبي تمام:

يقول من تفرعه أسماعه كم ترك الأول للآخر

فنقضى قولهم «ما ترك الأول للآخر شيئاً»^(٤).

وقد نقل حالي الشطر الثاني من بيت أبي تمام «كم ترك الأول للآخر» مع «ما ترك
الأول للآخر شيئاً» وقد نقلهما حالي من كتاب العمدة لابن رشيقي بعد أن ذكر أنهما

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ج ٦ ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) كعب بن زهير: ديوان كعب ص ١٥٤.

(٣) ابن قتيبة: الشعر والشعراء ج ١ ص ٤٥.

(٤) ابن رشيقي: العمدة: ٩١/١.

قولان متناقضان^(١).

١٦- ويؤكد حالي على أن المحدثين كانوا يستفيدون من القدماء ويدلل على هذا بيت
أبي نواس:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد^(٢)

وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها الفضل بن الربيع ويستعطف عليه هارون الرشيد
ومطلعها:

قولاً لهارون إمام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد

أنت على ما بك من قدره فليست مثل الفضل بالواجد

أوجده الله فمما مثله لطالب ذاك ولا ناشد

إلى أن يصل إلى البيت الذي ذكره حالي^(٣) وقد اعترف أبو نواس بأنه أخذ معنى هذا
البيت من بيت جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضاباً^(٤)

وهذان البيتان من الشواهد التي ذكرتها كتب البلاغة والنقد في باب «السرقات
الأدبية» وقد ذكرهما حالي عند تناوله لهذه القضية ويرى أنه ليس عيباً أن يأخذ المحدث
من القديم ويستفيد منه وأن هناك أمثلة «عديدة» لذلك في الآداب الشرقية ثم يذكر
أمثلة على ذلك من الشعر الفارسي والأردى وانتقال الأفكار من أحدهما إلى الآخر
فيذكر بيت شعر لميرتقى مير أخذ معناه من سعدى الشيرازي ويذكر أن الشاعر الفارسي
عرفى قد استقى معنى بيت الشعر هذا:

هر كس نه شنا سنده رازست وگرنه اينها همه رازست كه معلوم عوام است^(٥)

من الآية الكريمة ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَأَقْفَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

[الإسراء: ٤٤].

(١) حالي: مقدمة شعر وشاعري: ص ١١٧ - ١١٨.

(٢) أبي نواس: ديوان أبي نواس ص ٨٧.

(٣) حالي: مقدمة شعر وشاعري ص ١٢١.

(٤) جرير: ديوان جرير: ص ٣٠ - ٣١.

(٥) ليس كل امرئ من عارفي الأسرار وإلا، ستكون هذه الأسرار كلها معروفة لدى عامة الناس.

وبعد ذلك يعقد حالي مقارنة^(١) بين ستة أقوال مأثورة وأمثال عربية وبين أبيات شعر لسعدى الشيرازى تتضمن معانى هذه الأمثال مما يؤكد أنه سعدى الشيرازى قد اقتبس معانى هذه الأبيات من الأمثال العربية:

الأمثال العربية:

- ١ - الكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل .
- ٢ - الصمت زينة العالم وستر الجاهل .
- ٣ - راع أباك يُراع ابنك .
- ٤ - سناء ذكاء لا يزول من دعاء الخفافيش .
- ٥ - السعيد من أكل وزرع والشقى من مات وودع .
- ٦ - السلطان أحوج إلى العقلاء من العقلاء للسلطان .

أبيات سعدى الشيرازى:

سگ بدریای هفتگان بشوی	چونکه ترشد بلید تریاشد
تراخا مشی اى خد اوند هوش	وقارست ونا اهل راپرده پوش
توبجای پدرچه کوردی خیر	تاهمان چشم دارى ازيسرت
شیره کرنور آفتاب نخواهد	رونق بازار آفتاب نکاهد
نيک بخت آنکه خورد و کشت	وبدبخت آنکه مرد وهشت
بادشاهان بخرد مندان محتاج	تراند که خرد مندان به پادشاهان

ثم يقارن حالي^(٢) بين بيت شعر لمير درد أخذ معناه من آية قرآنية وهو:

دل بهی تیرت همی دلمنگ سیکها همی آن میس کچه، ان میس کچه^(٣)

فقد أخذ معناه من الآية الكريمة ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

١٧- ثم يعود حالي إلى موضوع المراثى العربية عند حديثه عن فن الرثاء الاردى ومحاولة إصلاحه فيؤكد على أن المراثى العربية تصف الاحداث الواقعية وصفات الموتى

(١) حالي: مقدمة شعر وشاعرى ص ١٢٥ .

(٢) حالي: مقدمة شعر وشاعرى: ص ١٣٤ .

(٣) بعد تعلم القلب ايضاً اسلوبك، فهو فى آن شىء وفى آن شىء آخر.

الحقيقية واستشهد حالي في ذلك بالمراثي التي قالتها بنات عبد المطلب بعد وفاته
وهن يصفنه بأوصاف حقيقية ولكن حالي لم يذكر أبيات من هذه المراثي^(١).

ويقول ابن هشام: أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته وكن
ست نسوة: صفية وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء، وأميمة وأروى فقال لهن: ابكين
على حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت فقالت صفية تبكي أباه:

ارقت لصوت نائحته بليل على رجل بقارعه الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي على خدى كمنحدر الفريد
على رجل غير وغل له الفضل المبين على العبيد^(٢)
وقالت به:

أعيني جوداً بدمع درر على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد جميل المحيا عظيم الخطر
وقالت أم حكيم البيضاء:

الا ياعين جودي واستهلى وبكى ذا الندى والمكرمان
الا يا عين ويحك اسعفيني بدمع من دموع هاطلات^(٣)
وقالت أميمة:

الا هلك الراعى العشيرة ذو الفقد وساقى الحجيج والمحامي عن المجد
ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
وقالت أروى:

بكت عيني وحق لها البكاء على سمع سجيته الحياء
على سهل الخليقه اسطحى كريم الخيم بيته العلاء^(٤)

(١) حالي: المرجع السابق ص ١٥٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ج ١ ص ١٠٥.

(٣) ابن هشام: المرجع السابق ص ١٠٦.

(٤) ابن هشام: المرجع السابق ص ١٠٧.

وقالت عاتكه :

أعيني جوداً ولا تبخلاً بدمعكما بعد نوم النيام
أعيني واسحنفراً واسكباً وشوباً بكاءً كما بالتدام

وذكر حالي في مقدمته^(١) مثلاً آخر من المراثي العربية وهو رثاء الشريف المرتضى لأبي إسحاق الصائى اعترافاً بعلمه وهى المعروفة بمرثية علم الهدى ولم يذكر حالي أى بيت من أبياتها وهى :

ما كان يومك يا أبا إسحاق إلا وداعى للمنى وفراق
وأشد ما كان الفراق على الفتى ما كان موصولاً بغير تلاق
ولقد أتانى من مصابك طارق لكنه ما كان كالطرق
وهى قصيدة طويلة تقع فى خمسة وخمسين بيتاً وتنتهى بقوله :
وإذا مضيت وفبك فضل باهر فيمن نسلب فأنت حتى باق

وقالها الشريف المرتضى فى رثاء أبى إسحاق الصابى يتذكر أيامه لما كان بينه وبين هذا البيت من الألفة المتأكدة^(٢) . وكان إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابى الحرانى صاحب الرسائل المشهورة وكان كاتب الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار من معز الدولة بن بويه الديلمى ويحكى أن الخلفاء والامراء أرادوه كثيراً على الإسلام وأداروه بكل حيلة حتى أن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة أن أسلم فلم يهده الله للإسلام كما هداه لمحاسن الكلام وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ويخدم الأكابر أرفع خدمة ويساعدهم على صيام شهر رمضان ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه^(٣) .

وذكر صاحب «الفهرست» أنه ولد سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وتوفى قبل سنة ثمانين وثلاثمائة ودفن بالشونيزى^(٤) .

وقد رثاه الشريف الرضى أخا الشريف المرتضى أيضاً بقصيدته الدالية المشهورة ومطلعها :

(١) حالي : تقدمه شعر وشاعرى ص ١٦٤ .

(٢) الشريف المرتضى : ديوان الشريف المرتضى : ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٣) الثعالبي : بتيمه الدهر : ٢ / ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٤) ابن النديم : الفهرست : ص ١٣٤ .

أرأيت من حملوا على الأعواد؟ أرأيت كيف خبا ضياء النادى
وهى قصيدة طويلة تصل إلى اثنين وثمانين بيتاً وقد عاتبه الناس فى ذلك لكونه
شريفاً يرثى صابئاً فقال: إنما رثيت فضله^(١).

ويبدو أن حالى كان يقصد الشريف الرضى صاحب الرثاء المشهور فى أبى إسحاق
الصابئى وليس الشريف المرتضى.

وقد أبدى حالى إعجابه بالمراثى العربية فذكر منها أمثلة عديدة كما مر بنا ولعل شعر
المراثى بالذات كان أقرب إلى نفس حالى من غيره سواء كان فى اللغة العربية أو الأردية،
ويبدو تأثيره بذلك فى المسدس فهو رثاء للمسلمين فى شبه القارة ونلمح الحزن والحداد
بين سطوره وفى كلماته، لذلك كان هذا الفن هو أحب فنون الشعر عند حالى فحاول
إصلاحه فى الشعر الأردى وحض الشعراء على أن يقلدوا الرثاء العربى الصادق الذى لا
يتعدى الحقيقة.

وإلى جانب هذه الأصول النقدية التى استفاد حالى بها فى مقدمته نراه يستشهد فى
أماكن كثيرة فى المقدمة بأمثلة عربية مثل «النادر كالمعدوم»^(٢) و«خذ ما صفا ودع ما
كدر» وكذلك بجزء من حديث نبوى شريف هو:

«إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله»^(٣).

ويتضح مما سبق أن حالى قد تأثر تأثراً بالغا فى مقدمته بالنقد العربى القديم والحديث
ونقل فى «مقدمة شعر وشاعرى» آراء نقدية وشواهد شعرية عربية كثيرة فى محاولة
يائسة لتأصيل مفهوم جديد لنظرية نقد الشعر الإسلامى المتمثل فى شعر اللغة العربية
والفارسية والأردية، لذلك نراه يستشهد كثيراً فى مقدمته بالشعر العربى فى المدح
والرثاء والهجاء والفخر وكذلك بالقرآن الكريم والحديث النبوى والأمثال العربية والأقوال
المأثورة، ونراه يرجع إلى كتب العقد الفريد ومقدمة ابن خلدون والعمدة والشعر
والشعراء والأغاني وألف ليلة وليلة وطبقات فحول الشعراء وغيرها من الكتب العربية
محاولاً بذلك تأصيل نظرية نقدية محددة يلتزم بها النقاد والشعراء من بعده وذلك

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥٢/١، ٥٣، ٥٤.

(٢) حالى: مقدمة شعر وشاعرى ص ٤٢.

(٣) يشير إلى الحديث النبوى الشريف «إن فى القلب لمضغه إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد
الجسد كله ألا وهى القلب».

للمرة الأولى فى الشعر الأردى ولكن ما كان حالى يصبو إليه لم يتحقق لان الشعراء الذين جاءوا بعده توردوا على هذه الأصول التى لم يكن حالى نفسه قد التزم بها فى ديوانه .

وقد جاءت معظم آراء حالى النقدية مبتشرة وناقصة ولم تتسلسل آراؤه بمنطقية بل إنه لا يكاد يبدأ فى قضية نقدية حتى يتركها إلى أخرى دون أن يفصل القول فيها إلا نادراً - ودون أن يكون قد خرج برأى ذى قيمة منها فى قضية نقدية وآراء متناقضة فى أخرى كان ينفى قضية ثم يثبتها فى نفس الوقت لذلك لم تتعد المقدمة عن كونها تجميعاً غير منظم للآراء النقدية العربية فى القضايا المختلفة وخاصة فى تحديد مفهوم الشعر والشعر الجيد والردئ وقضية اللفظ والمعنى والكذب والمبالغة والصدق وخصائص الشعر الجيد وغيرها من القضايا التى اهتم بها الشعر العربى قديماً وحديثاً .

وقد أخطأ حالى فى كثير من المواضع التى نقل عنها الأمثلة أو الشواهد الشعرية فكان يختصر بعضها وينسب بعضها لآخرين ويخطئ أحياناً فى اسم الشاعر الذى ينسب إليه الأبيات، فلم يرجع حالى فى باقى النصوص والنقول ومصادر النقد واللغة مباشرة بل رجع إلى مصادر أخرى وردت بها هذه النصوص كما رأينا فيما مضى عندما نقل ما نسب له لابن رشيق من نصوص من مقدمة بن خلدون لذلك أرجح أن يكون حالى لم ير كتاب العمدة لابن رشيق .

وكان من جراء عدم اعتماد حالى على المصادر الأصلية والنقل عنها مباشرة أن أخطأ كثيراً فى الأخبار الصحيحة ورد الآراء النقدية إلى أصحابها، وفى حين يذكر حالى النصوص والأقوال والأشعار العربية كما هى باللغة العربية وأحياناً أخرى يترجمها إلى اللغة الأردية ولم تكن ترجمته جيدة فى بعض المواضع .